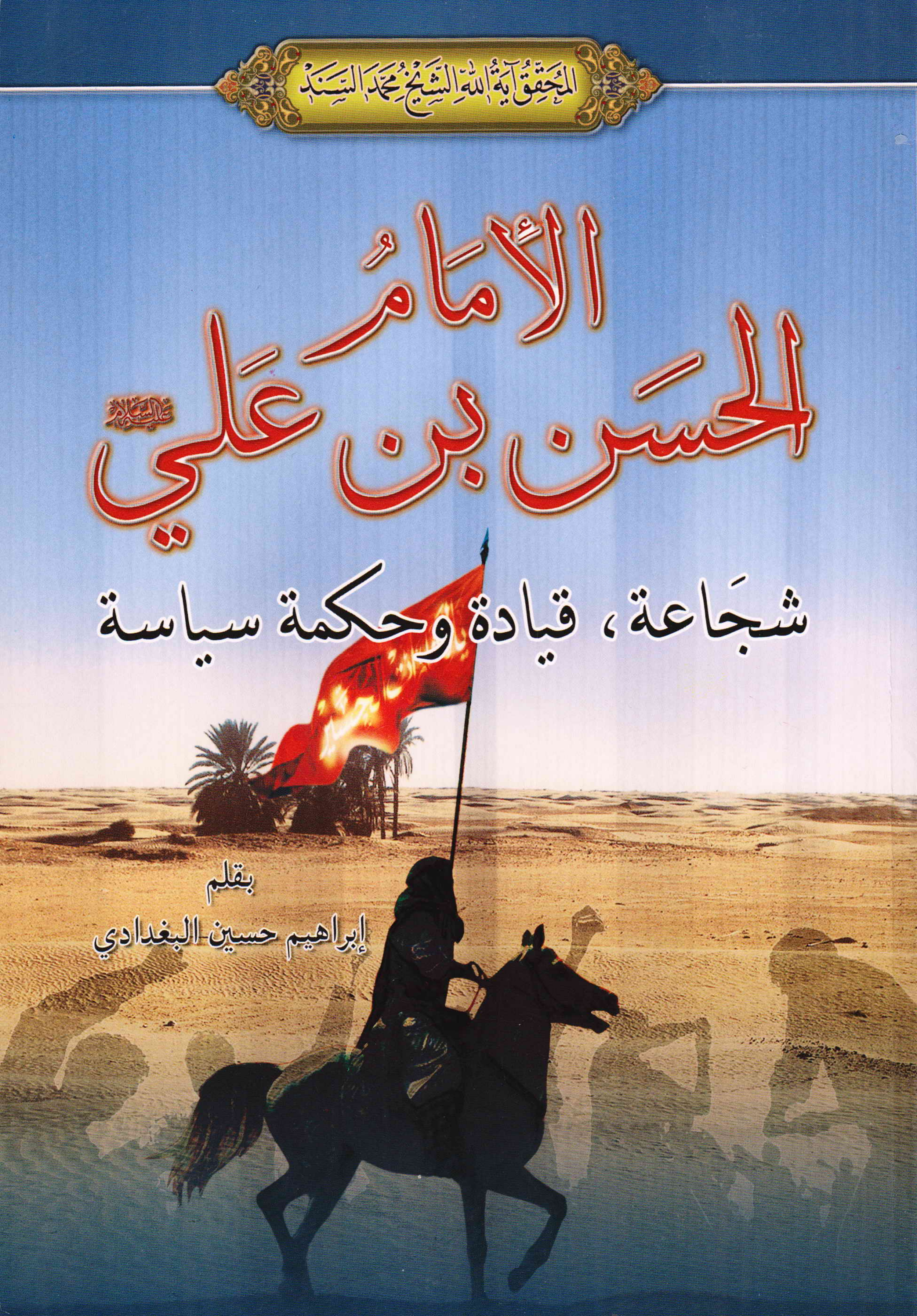

المحقق آية الله الشيخ محمد السند
الإمام الحسن بن علي عليه السلام
شجاعة، قيادة وحكمة سياسة
بقلم
إبراهيم حسين البغدادي

شبكة الفكر
alfeker.net

الإمام

الحسن بن علي (عليه السلام)

شجاعة قيادة وحكمة سياسة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

الإمام

الحسن بن علي عليه السلام

شجاعة قيادة وحكمة سياسة

تقريراً لأبحاث الأستاذ

آية الله المحقق الشيخ محمد السند

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي

١٤٣٣هـ

الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى سبط النبي ﷺ الأكبر ....

إلى سيد شباب أهل الجنة....

إلى الفتى المتحدث بشجاعة....

إلى القائد العسكري والمدبر السياسي....

إلى وريث النبي والوصي....

إلى الابن البكر لسيدة النساء فاطمة عليها السلام ....

إلى الحسن بن علي بن أبي طالب....

أقدم هذا المجهود راجياً منك يا سيدي القبول.

عبدك

إبراهيم

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة بحوث ألقاها سماحة الأستاذ آية الله المحقق الشيخ محمد السند «دام ظله» في جوار المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام [(١)]، وقد ألقيت على مجموعة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السبط الأكبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام [(٢)]، وقد بيَّن سماحته بعض الحقائق الغامضة حول حياة الإمام الحسن عليه السلام ومعاهدته مع معاوية بشكل تحليلي رائع وعن دراسة دقيقة كما سيجدها القارئ اللبيب، وقد أوضح حقيقة الانحراف عن آل محمد صلوات الله عليهم وبالذات عن القائد الشجاع والمدبر السياسي العظيم الإمام الحسن عليه السلام لا كما يتصور البعض من أنه سلم الخلافة لمعاوية - والعياذ بالله - بل إنه على قصر عهده في خلافته فقد كان عليه السلام من أطول الخلفاء باعاً في الإدارة

(١) مسجد عمران بن شاهين، داخل الصحن الشريف، وهو مكان درسه الآن.

(٢) ٦، ١٠ صفر ١٤٣٢.

السياسية، وهو الرجل القائد الذي بلغ من دقته في تصريف الأمور، وسموّه في علاج المشكلات، أنه استغل معاوية أعنف ما يكون في موقفه منه حذراً وانتباهاً واستعداداً للحبائل والغوائل.

وليس يضر الحسن بن علي عليه السلام أن تظلمه الأذهان البليدة ثم ينصفه التمييز، وإن لهذا الإمام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الأسنى من صفوة العظماء الخالدين، وفاتهم أن ينظروا إليه كألمع سياسي يدرس نفسيات خصومه ونوازع مجتمعه وعوامل زمنه، فيضع الخطط ويقرر النتائج ويحفظ بخططه مستقبل أمة بكاملها، ويحفر - بنتائجه - قبور خصومه قبراً قبراً، ثم يموت ولا يرضى أن يهرق في أمره محجمة دم[(١)].

كل هذا سوف تجده - عزيزي القارئ - في طيات هذا الكتاب وأخيراً نسأل من العلي العظيم أن يحفظ لنا شيخنا الأستاذ وأن لا يحرمنا من بحوثه القيمة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

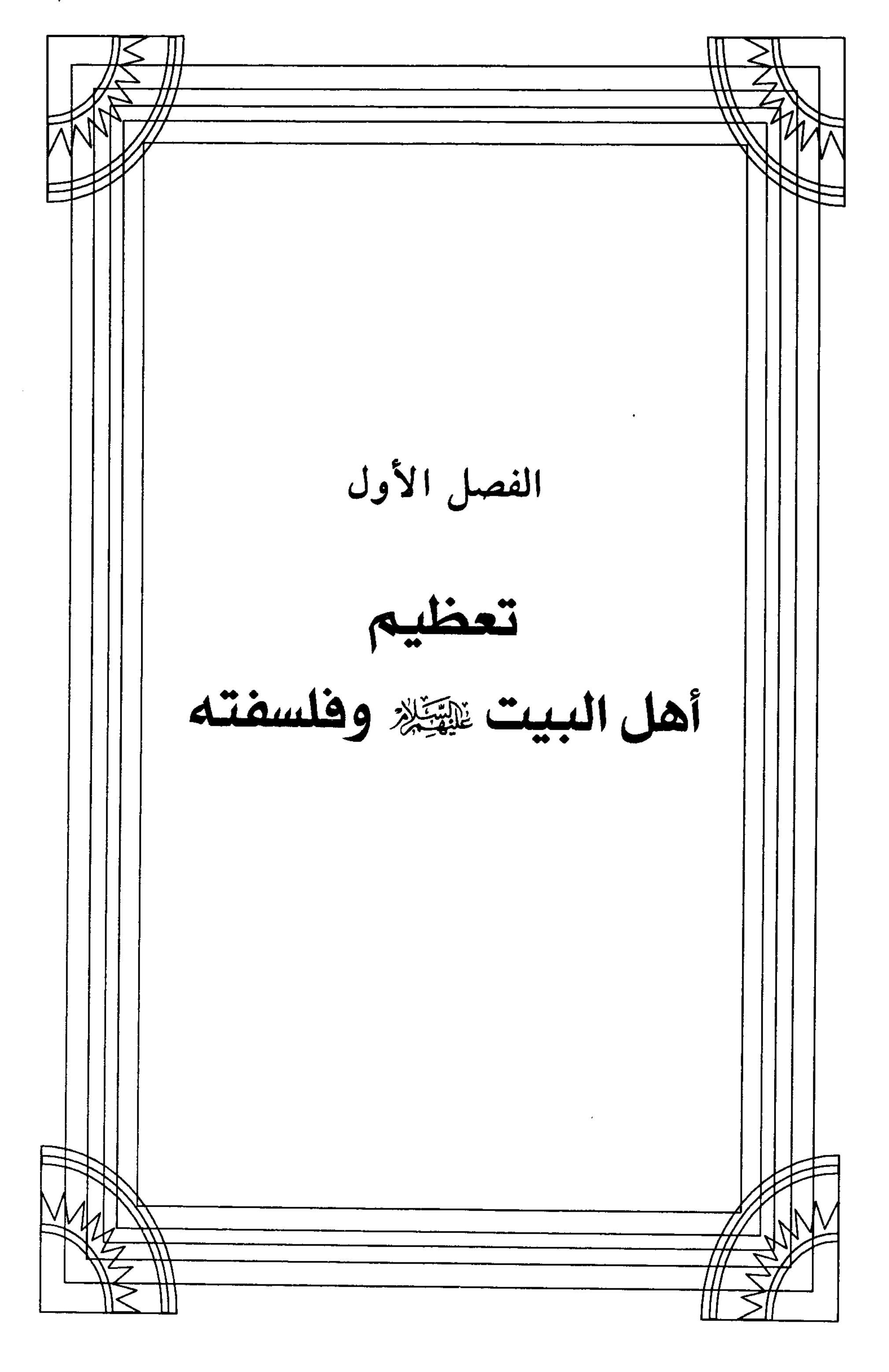
يوم الغدير/ ١٤٣٢

إبراهيم حسين البغدادي

النجف الأشرف



(١) صلح الحسن: ١٩.



الفصل الأول

تعظيم
أهل البيت عليهم السلام وفلسفته

تعظيم أهل البيت عليهم السلام:

إن تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام تثار حوله تساؤلات عديدة لاسيما من الفرقة المعروفة، فإن بعض شذاذ الأمة، وهم السلفية الوهابية، وربما من بعض الأوساط الداخلية، تحت شعار أن التعظيم لمفردات بشرية أياً كان هذا التعظيم، وفي أي صورة، هو نوع من الحالة الصنمية! أو المغالاة! ومن هذا القبيل.

وخيرُ حديثٍ القرآن الكريم الذي يستمد منه المسلم والمؤمن مشروعية أعماله، فبنظرة سريعة للقرآن الكريم، هل أن في القرآن الكريم مشروعية لتعظيم بني البشر أم لا؟ إن الكثير من الآيات تشير بصوت خفاق إلى مشروعية هذا العمل، بل بلزومه وضرورته، وأنه على حد أن كل أعمال الإنسان بما فيها عقائده مرتهنة بهذا العمل، فإن الآيات الكريمة تبالغ في خطورته إلى هذا الحد، ولا تجعله مشروعاً فقط، بل تبالغ في أهميته إلى أن تجعل نجاة الإنسان ومصير عطائه مرتهناً بهذا الفعل، وبعد ذلك سنتطرق إلى بُعد وفلسفة هذا الفعل والإلزام به في القرآن الكريم، وهو بدوره، أي هذا المقام الثاني - ذكر فلسفة هذا الفعل أو الحكم - دليل عقلي على هذا الفعل.



تعظيم أولياء الله:

إن الشبهة التي تُثار هي أن التعظيم لا يسوغ لغير الله تعالى، فإن أي مظهر من مظاهر التعظيم لا يسوغ لغير الله تعالى، وأن أي تعظيم وتبجيل وإكبار، هو نوع من التأليه للطرف الآخر من بني البشر. وهذا طبعاً قد تصدى للرد عليه الكثير من محققي الإمامية والمذاهب الإسلامية لأن التعظيم والتبجيل والإكبار يعتمد على درجة الكبر والعظمة التي للطرف الآخر فتؤديها أنت، الإكبار والتعظيم للطرف الآخر يحدد الدرجة التي توليها أنت للطرف الآخر، وبادئ نبتدئ بأمثلة في القرآن الكريم وموارد في غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته، فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان تجاه والديه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1]. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ نوع من التذلل للوالدين، هذا ما أمر به الله عز وجل، وواضح من التذلل أن فيه نوع من تعظيم إرضاء للوالدين، ولاشك أن هذا ليس تأليهاً للوالدين، بل على العكس هو طاعة لرب العالمين وهذا ما أمر به القرآن الكريم، إلا أن القرآن الكريم يبين أن داعي هذا التذلل هو الرحمة للوالدين وليس التأليه، ودرجة التعظيم والإكبار التي يوليها الإنسان للطرف الآخر هي في الواقع مدللة على المعنى الذي يدل عليه الإكبار والتعظيم، وليس كل تعظيم مصداقاً للتأليه أو الصنمية، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أي كن ذليلاً وكلما ازددتَ ذلاً أمام والديك،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

اندرج تحت ما يأمر به القرآن، بلغ هذا الذل ما بلغ، شريطة أن يكون منطلقاً من الرحمة - مِنَ الرَّحْمَةِ للوالدين، العطف، صلة الرحم.

ونحن الإمامية نجعل المخاطَب لنا من يفقه المعاني، أما من لا يفقه المعاني فحسابه مع ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]، فهذا التذلل والتعظيم ليس في أصل ماهيته وذاته الصنمية، وإلا لكان هذا التعظيم صنمية للوالدين؟! كلا، لأن الأمر هنا يوافق الحسن العقلي ويوافق الندب الشرعي، والأمر الشرعي يتلاءم مع ذلك، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

كذلك نشاهد القرآن الكريم يسطر لنا أمثلة عديدة، من قبيل سجود الملائكة دون إبليس لآدم، ويشير القرآن الكريم في سبع سورٍ قرآنية إلى هذه الواقعة، التي هي ملحمة في المعرفة الكونية، المعرفة البشرية، المعرفة الدينية، هذا الإسجاد أياً كان معناه، أنه سجود لله وجعل آدم قبلة، أو أنه سجود لآدم بأمر الله، أو أنه خضوع وتذلل لآدم، أو أنه انقياد، بأي معنى من المعاني التي ذكرها المفسرون من الفريقين فإن فيه تعظيم لآدم، وحاشا للباري العزيز عز اسمه أن يشرك أحداً في كبريائه، فكيف يأمر بهذا التعظيم؟. والأعظم من ذلك أن الباري تعالى يجعل مصير إبليس وعقيدته في امتثال التعظيم! فقد كان إبليس يقر بوجود الله ولا زال يقر بذلك، ويؤمن باليوم الآخر ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، بل يؤمن حتى بتفضيل آدم ونبوته، والكثير من الأمور من أصول الاعتقادات يؤمن بها، لكنه قد عصى في هذا الأمر، وهو تولي ولي الله بنحو التعظيم، حتى أنه قد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أمر الله إبليس

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٩.

بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله عز وجل : إني أحب أن أطاع من حيث أريد...[1].

مما يدلل على أن منطلق إبليس من عدم تعظيم آدم، ليس عقيدة توحيد، ولكنها عقيدة شركية، وهي تطابق ما ينادي بها «الوهابية»، وإلا فهو - إبليس - رائد على هذا المقياس ويجب أن يجعلوه رائداً من رواد هذا المذهب الجديد؛ لأن إبليس أراد أن يصحح لله عز وجل : إن التعظيم لغيرك شركٌ، والتوحيد أن لا يعظم غير الله! حسب صورة المنطق التي يدعو إليه هؤلاء، فإبليس ليس عضواً عادياً بل يجب أن يكون رائداً، لأنه نظّر إلى هذا المطلب بشكل جيد جداً، فأبى أن يعظم غير الله، كي لا تكون صنمية، بينما الباري تعالى يقول بأن مجمل (الإثارة) عند إبليس ليس العقيدة التوحيدية، بل الناحية الشركية والناحية الصنمية لأنانية ذاته، بل هو استكبار نفس النفس، وإلا فتذلله لله عز وجل ، يقتضي أن يعظم من عظمه الله عز وجل .

هذا موطن آخر من المواطن التي ينادي القرآن بها بأفصح قول بأن أولياء الله، خلفاء الله، الحجج العظام يُعظمون، وهذا التعظيم ليس تأليهاً، بل هو عين التوحيد، عين نفي صنمية أنانية الذات، عين نفي فرعونية الذات، دكدكة فرعونية واستكبار الذات، بأن يعظم الإنسان أولياء الله. وذاك الذي لا يعظم، ذكره الله عبرة للعالمين، للجن والإنس والملائكة، وللأصناف العديدة من المخلوقات، ذكر ما وقع من إبليس، وأن الذي يستكبر عن تعظيم ولي من أولياء الله الذين لهم منصة خاصة في الحجية، ليست دواعيه في الواقع التوحيد أو الذوبان في توحيد الله، بل

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ٤٦؛ بحار الأنوار ج٢: ٢٦٢.

على العكس، هو واقع في جب الكفر، وجب الأنانية والاستكبار، وأما الذي يتذلل لأولياء الله ذوي المقامات الخاصة، فذلك عين التوحيد وعين التواضع وعين الذوبان في ذات الله، وسيأتي ويمر بنا فلسفة ذلك.

ومن المواطن الأخرى التي يذكرها لنا القرآن الكريم في تعظيم حجج الله وأصفياءه ما تطالعنا به سورة الحجرات، حيث يشير إليها الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية في دعائه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: «فرضت علينا تعزيزه وتوقيره وأمرتنا أن لا ترفع الأصوات على صوته، وأن تكون كلها مخفوضة دون هيبته، فلا يجهر عليه عند مناجاته ونلقاه بأخمدها عند محاورته ونكف..... الألسن لدى مسألته إعظاماً منك لحرمة نبوته وإجلالاً لقدر رسالته وتمكيناً في اثناء الصدور لمحبته وتوكيداً بين حواشي القلوب لمدته»[١].

فيبين ما في سورة الحجرات كيف أن هناك هالة من التعظيم رسمها القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وآله، ويشرحها زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء من الصحيفة السجادية، في ذكر الصلوات المبسوطة على النبي صلى الله عليه وآله.

وفي بعض الروايات في ذيل هذه الآيات، لا في التفاسير إنما رواية ينقلها مالك بن أنس صاحب الموطأ عن جعفر بن محمد أنه كان إذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اخضر مرة واصفر أخرى حتى ينكره من كان يعرفه[٢]. فقد كان عليه السلام يذكر النبي صلى الله عليه وآله بتبجيل وتعظيم خاص، وفي رواياتنا ورد أن الصادق عليه السلام كانت تأخذه حالة القشعريرة والخشية إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله، وكان يكرر ذكر النبي صلى الله عليه وآله في بعض المجالس حتى

---

(١) الصحيفة السجادية، طبعة الأبطحي: ٣٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق ج١: ٢٣٥؛ الخصال: ١٦٧؛ البحار: ج٤٧: ١٦.

ينحني، تعظيماً لاسم النبي صلى الله عليه وآله. فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليساً لأبي عبدالله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً ثم إني جئت إليه فقال لي: لَمْ أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سميته؟ قلت: سميته مُحمداً قال: فأقبل بخدهِ نحو الأرض وهو يقول: مُحَمدٌ مُحَمدٌ مُحَمدٌ حتى كاد يلصق خدهُ بالأرض ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداءُ لرسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبهُ ولا تضربه ولا تُسيء إليه، واعلم أنهُ ليس في الأرض دار فيها اسمُ محمد، إلا وهي تقدس كل يوم، ثم قال لي: عققت عنهُ؟ قال: فأمسكت قال: وقد رآني حيث أمسكت ظن أني لم أفعل فقال: يا مصادف ادْنُ مني فوالله ما علمت ما قال له إلا أني ظننت أنهُ قد أمر لي بشيء فذهبتُ لأقوم فقال لي: كما أنت يا أبا هارون فجاءني مصادف بثلاثة دنانير، فوضعها في يدي فقال: يا أبا هارون اذهب فاشتر كبشين واستسمِنْهُمَا واذبحهما وكل واطعمْ(١).

فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)، فهذه الآية تنفي مطلقاً أن يبادر أحد من المسلمين السبق على النبي صلى الله عليه وآله في حفظٍ أو في تصرفٍ أو إنفاذٍ، ولهذا نرى الآية الكريمة تقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، والمتقي لا يتقدم بين يدي الله ورسوله. في حين يروون في الثاني أنه في مواطن عديدة نازع النبي في أمور، وأدلى برأي أو بحكم أو بموقف قبال النبي أو أسبق على النبي صلى الله عليه وآله، وبحسب هذه الآية فإن ما فعله ليس بفضيلة وإنما هو عصيان ومعصية، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني لم يكن هناك تقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ

(١) الكافي ج ٦: ٣٩؛ الوسائل أبواب أحكام الأولاد باب ٢٤/ ح٤.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١.

﴿وَرَسُولِهِ﴾ أي يجب في مقتضى طاعتكم لله وللرسول: التبعية وتمام التبعية، الانقياد وكل الانقياد، وأن لا يصدر منكم في أي مورد من الموارد نوع من السبق على النبي صلى الله عليه وآله، وهذا طبعاً نوع من إعطاء المحورية والمركزية للنبي صلى الله عليه وآله، في كل الأمور وعلى كل الأصعدة، ومن دون تقييد في هذه الآية، وهذا مما يدلل على عصمة النبي صلى الله عليه وآله في كل الحقول والموارد وليس فقط في مورد التبليغ، بل هي أخص بالتدبير أكثر، ومنصرفة إلى موارد التدبير أكثر من انصرافها إلى موارد التبليغ، ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ﴾ إقدام على الخطوات التدبيرية، وهذا يدلل على عصمة النبي صلى الله عليه وآله في كل هذه الموارد.

بعد ذلك السورة تتابع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(١)، والآية باتفاق المفسرين تقريباً نزلت في الشيخين(٢)، حيث إنهما رفعا صوتهما فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله، والآية تقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني أن إخفاض الصوت عند الحديث مع النبي صلى الله عليه وآله هو من الأدب القرآني الملزم به، وليس أدباً ندبياً [مستحباً] أو سنة أخلاقية، بل هو أمر ملزم به؛ لأن الآية تحذر وتوعد وتهدد بإحباط الأعمال، وهم يروون أنهما كادا أن يهلكا، لابد أن حبط الأعمال بما فيها العقيدة.

لذلك يروى عن العلامة بحر العلوم رحمه الله عندما تشرف وأذن له صاحب العصر «عجل الله فرجه الشريف» بالقرب منه، فكان يتثاقل تأدباً،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) صحيح البخاري ج٦ : ٤٦؛ تفسير القرطبي ج١٦ : ٣٠٣؛ الدر المنثور ج٤ : ٨٤؛ تاريخ ابن عساكر ج٩ : ١٩٢؛ مسند أحمد ج٤ : ٦؛ تاريخ الطبري ج٤ : ٤٤.

ويعلل ذلك بخوفه أن في ترك الأدب كفراً. ومن هنا يمكننا أن نعتبر الأدب وإن كان خارج منطقة العقيدة أو خارج منطقة الأعمال الإلزامية المكلف بها المسلم والمؤمن إلا أن بعض موارد الأدب ليس كذلك بل هو مرتبط بالعقيدة ومرتبط بالأعمال. ومن ثم فقد أفتى الفقهاء في المذاهب الإسلامية كلهم بأن الشاتم للنبي صلى الله عليه وآله يقتل، وكذا الذي ليس بدرجة الشاتم بل كان يستهزئ بالنبي صلى الله عليه وآله بالدرجات التي يستصغر بها مقام النبي صلى الله عليه وآله يقتل، وأنه يُحكم عليه بالكفر، بل عند علماء الإمامية الحال كذلك في الأنبياء والرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام وكذلك الصديقة فاطمة «سلام الله عليها».

فإذن هذا التعظيم والإجلال والتفخيم جذره قرآني، وإن عدم مراعاة الأدب أو التعظيم أو الإكبار مع حجج الله وأصفيائه يوجب الخروج عن ربقة الإيمان والهلاك الأخروي. وتشير الآية: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1]، إلى إحباط عموم الأعمال بما فيها العقائد، نتيجة تصرف بسوء الأدب في مقام التعامل مع النبي صلى الله عليه وآله برفع الصوت، حتى لو لم يكن في ذلك إصرار بشدة وتعمد، بل قلة في المبالاة والتهاون.

فغض الصوت أو الجهر بالصوت مع النبي صلى الله عليه وآله، هو مجرد فعل وخطوة محادثة مع النبي صلى الله عليه وآله، إن لم تراعِ فيها الأدب الخاص بالنبي صلى الله عليه وآله، فيسبب إحباطاً للأعمال. كما في الرواية لديهم «كاد الشيخان أن يهلكا»، هلاك أخروي، فلا تسلم العقيدة، وهم يروون في مواضع أخرى أن الثاني قد جرّ ثوب النبي صلى الله عليه وآله، وإذا كان رفع الصوت يوجب إحباط الأعمال، فكيف إذا جر ثوب النبي صلى الله عليه وآله وجذبه!

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

وفي موقف ثالث كما يروون أن الثاني فعل ما فعل، في صلح الحديبية..

فهذه الهالة من التفخيم والتعظيم التي يشير إليها الإمام السجاد عليه السلام في معنى الآية بحسب ظاهرها بيّن، يوجبها ويبنيها القرآن للنبي، للصوت درجة وللمحادثة كيفية، يجب أن تكون بإكبار وتعظيم وتبجيل، مع أن الضرورة قائمة على توحده تعالى بالكبرياء وهو رداء لا ينازعه فيه أحد من خلقه، مع ذلك الباري عزّ وجلّ يضفي جلالاً وعظمة خاصة لنبيه صلى الله عليه وآله، ليس كبرياء الإلهية، وإنما هو إكبار الرسالة وعظمة الرسالة يضفيها على النبي صلى الله عليه وآله، ما سر كل ذلك؟ وأي درجة من الأدب في التعامل حتى في الفعل الآني المتصرم الخفيف، فضلاً عن تعامل السلوك ونمط العلاقة الدائمة مع النبي صلى الله عليه وآله.

هذه الهالة التي يرسمها القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وآله، لم يحظ بها الملوك أو السلاطين والجبابرة، ولم تقرر في التحدث معهم، مع إن النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا تقولوا لي ولا تصنعوا لي مثل ما تصنع الأمم في ملوكهم، مع ذلك يأمر القرآن بتعظيم وتبجيل النبي صلى الله عليه وآله، وإنما ذلك النهي من النبي صلى الله عليه وآله لكي لا يعبد المسلمون نبيهم كما عبد المسيحيون أو النصارى نبيهم، دفعاً لتوهم ضعاف العقول والنفوس أن هذا التعظيم والتفخيم المأمور به في القرآن للنبي صلى الله عليه وآله هو تأليه له ومع الخوف من هذا المحذور فإن القرآن الكريم يأمر بمثل هذه الهالة من التعظيم للنبي صلى الله عليه وآله كما في ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

وفي ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾[1] والتعزير والتوقير في سياق واحد مع التعظيم.

وفي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وفي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾[3]. فغض الصوت، ومراعاة والتزام الأدب كله إكبار وتعظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. فهذا التعظيم والتبجيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو امتحان للقلب، يعني قلب متقي وليس عملاً متقياً.

ولابد أن يلتفت إلى أن هناك فرقاً بين التقوى في العمل والتقوى في القلب، فالتقوى في القلب أشد صعوبة، وأحلك عقبةً من التقوى في العمل؛ لأن الخواطر والجذبات والميول والنزعات النفسية ضبطها أصعب جداً. فالظاهر يعتمد على صورة العمل أنه ترك الحرام والإتيان بالواجب وما شابه ذلك، صورة الأعمال الجارحية، أما التقوى في القلب فهي أعظم درجة، ولا يقاس بتقوى الأعمال الجارحية، وهنا القرآن الكريم يبين الارتباط بين الأدب والتعظيم والإكبار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومرتبة عالية من التقوى، هو تقوى القلوب. فإذن التعظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جذره قرآني.

وكذلك بيّن القرآن الكريم هذا التعظيم في مواطن أخرى في أهل

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٣.

البيت عليهم السلام كما في سورة النور حيث قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾(١)، ففي الآية خمسة موارد تشبيه،لا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنين ،بل خمسة موارد تشبيه، وإشارة إلى هذا العدد بأنه أصيل، ولم يجعل الخمسة في سورة المباهلة مع أن موردها هم الخمسة من أهل الكساء النبوي، وكما في آية التطهير نزولاً وبتطبيق من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونزول الآية في أصحاب الكساء وعددهم خمسة، هنا في سورة النور تشبيه خماسي ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ﴾، أي خمسة أنوار مشكاة وزجاجة ومصباح وكوكب دري وشجرة، وكل تشبيه له وجه شبه، ثم بعد ذلك ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ يعني أن هناك أنواراً أخرى تتعاقب غير الخمسة الأصلية. بعد ذلك تتابع الآيات هذا النور في أصوله الخمسة وتعاقب الأنوار وأنها خلقة نورية لبعض المخلوقات بصفة بدنية، وبصفة روحية، والخلقة النورية، هذه النشأة من الخلقة غير خلقة الروح، وغير خلقة البدن هذه الأنوار في ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ بعد ذلك تتابع الآيات ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾(٢)، فلفظة رجال هنا تابعة في التركيب الأدبي النحوي للجمل أو معطوفة على ماذا؟ المبتدأ الأول ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، وأخبار بعده في سرد الآيات، إلى أن تصل الآية إلى

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

هذا الخبر ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ هذه محطة من المحطات، بعد ذلك يأتي الخبر الأخير ﴿رِجَالٌ﴾ يعني هذه البيوت كما قال الإمام الباقر عليه السلام لقتادة: ويحك يا قتادة إن الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلةً عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين..[1].

فهذه البيوت بنص القرآن الكريم ﴿رِجَالٌ﴾، ولا يعني بالبيوت بيوت الطين، إذاً في هذه الأمة خمسة أصول من البشر، ثم تتعاقب منهم أنوار أخرى، هذه الأنوار موجودة في أنفس بشرية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2].

ومن الطبيعي أن هذه الآية فيها شواهد عديدة، تشابه العديد من آية التطهير وآيات أخرى، قد أشار إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، لا بنحو التأويل، بل أشاروا إلى نفس مواطن القرائن الدلالية في نفس منصة الظاهر، وللأسف أن تقرأ الروايات بشكل سريع ومجمل، وتحسب أن

---

(١) الدر المنثور للسيوطي/إن هذه البيوت بيت علي وفاطمة عليهما السلام في ذيل الآية؛ الكافي ج٦: ٢٥٦.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

هذا تعبد تأويلي من أهل البيت عليهم السلام، ولاشك أن قولهم عليهم السلام حجة، لكن الكلام في أن أكثر مفاد الروايات وإن لم يكن جلها، إشارة إلى مواطن دلالة في نفس منصة الظاهر. فهنا القرآن الكريم أيضاً يعظِّم ويبجِّل هؤلاء الرجال، هؤلاء المطهرين، ولاريب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد الخمسة وبالتالي عترته التي يجلها القرآن الكريم في مواطن أخرى، كآية التطهير وآية المباهلة وغيرهما ويخاطبنا بأن في هذه الأمة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]. رجال يجب أن يعظموا، يمجدوا، يجللوا ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[2]. مرفوعة، معظمة، مبجلة، وهذا نص آخر من القرآن، لا يقتصر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يُرينا هذه الوظيفة والإلزام تجاه عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مواطن عديدة لسنا الآن في صدد استقصائها، إنما مجرد استعراض نبذة موجودة في القرآن الكريم، نوع من الهالة التعظيمية والتعظيم والإكبار والإجلال للنبي وأهل بيته. وما سر هذا؟!.



(١) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.

فلسفة تعظيم أولياء الله:

المقام الثاني: ما سر هذا التعظيم والأدب؟ الذي ليس تأليهاً أو ألوهية، ويصب في التوحيد والتواضع لله والانشداد إلى مسيرة الله وصراط الله، يذكر علماء الحكمة والأخلاق وأهل المعنى وما شابه ذلك من العلوم التي تبحث حول المعارف،أن هيئات الأدب تنطوي على معانٍ اعتقادية ويثمر ظاهرة سلوكية، وبعبارة أخرى إن هناك ثلاث طبقات أو حلقات:

١ - حلقة رؤية اعتقادية سواء توحيدية أو غير توحيدية أو مادية.

٢ - ثم حلقة ثانية وهي الصفات النفسية أو الأفعال النفسية.

٣ - ثم حلقة ثالثة وهي الأفعال العضوية البدنية.

وهذه الحلقات الثلاث مع تسلسلها وانتظامها، هي المعادلة، مع تسلسل الترتيب، كلٌ من علماء القانون، علماء الحقوق، علماء الفلسفات الإنسانية، علماء الأخلاق، وعلوم إنسانية عديدة تبحث عنها. سواءً في الوضعية البشرية أو المرتبطة بالدينية، وهذه المعادلة مبرهنة في عدة علوم. فكل ظاهرة أدبية عند الإنسان تعكس عن تحصيل اعتقادي أو معنى اعتقادي يبني عليه الإنسان، وكذلك في كل سلوك عملي، من باب المثال، هناك رواية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لشاب مرهق في الذنوب سخي أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل[1]. ويذكر

(١) فقه الرضا عليه السلام: ٣٦٢؛ الاختصاص للمفيد: ٢٥٣.

علماء الأخلاق في معنى هذه الرواية أن هذا السخي الشاب وإن كان قد ارتكب المعاصي، لكنه في باطن اعتقاده يؤمن بأن هناك قدرة في الواقع «سيبها عميم، وفيضه دعيم» فهذا يؤمن بالله عزّ وجلّ ، بإيمان فطري، قلبي، عياني، يعني فطرته مجبولة على الارتباط بالله، من ثم هو أحب إلى الله.

إذن الفضائل الأخلاقية تنم عن وجوه عديدة من التوحيد، والرذائل الأخلاقية - لا سمح الله - تنم عن وجوه عديدة من الكفر أو الشرك، وهذا الأدب والتعظيم والإجلال ينم عن مطلب اعتقادي، إن كان الإنسان يعتقد بهذه الكرامة والحبوة، والمقام الذي أعطاه الله عزّ وجلّ لحججه، فمن الواضح أنه يجب عليه أن ينكسر أمام هذا المقام، بما أن الحجة لله تعالى على مقامٍ عالٍ محبوب قضاه الله، ومن قبل الله، فهو إذاً عين الخضوع والتسليم للتوحيد، ولا يصب في الشرك أو الكفر.

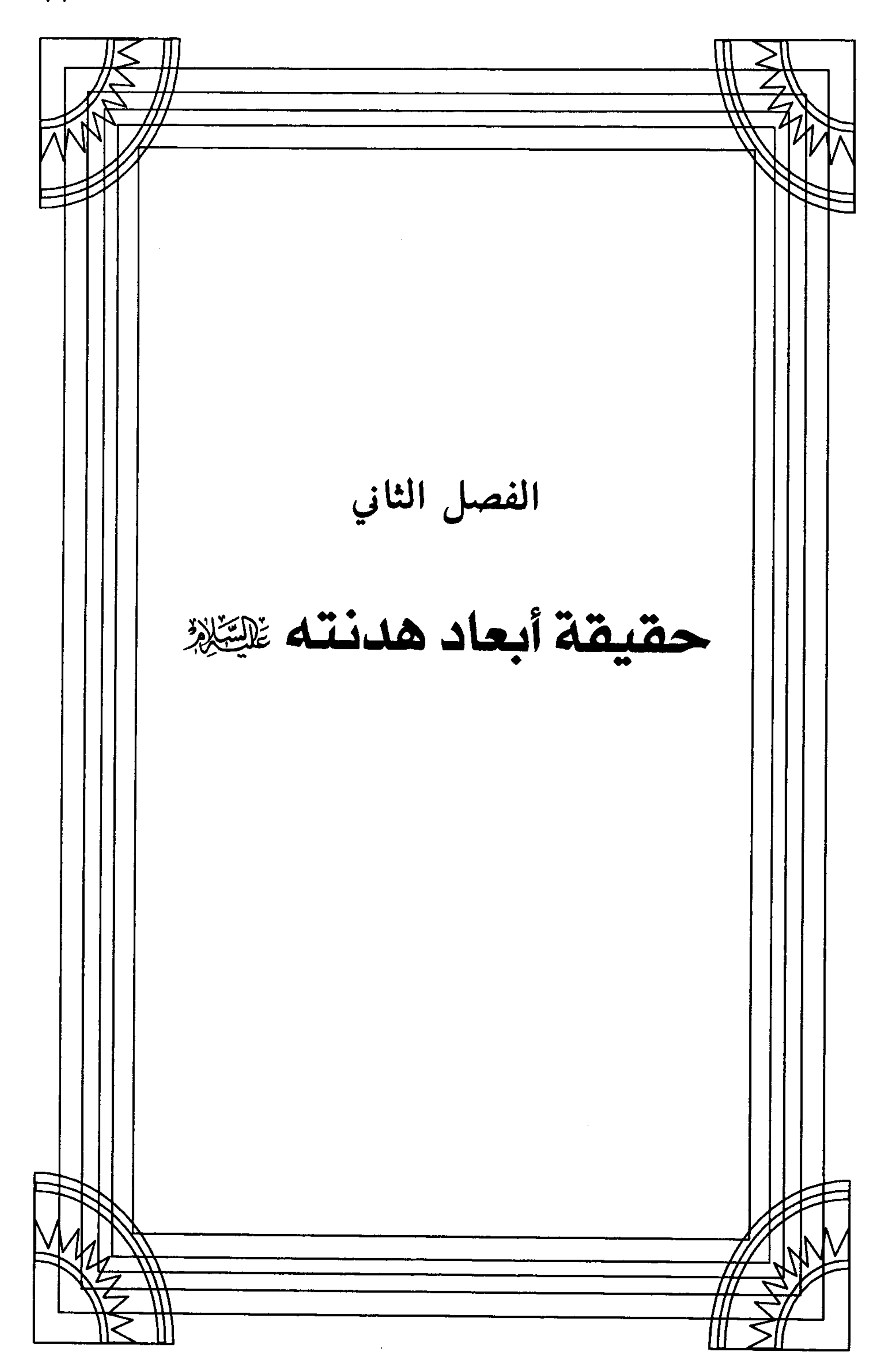
هذا الأدب فلسفته نفس الاعتقاد برسالة الرسول صلى الله عليه وآله، أو بإمامة الإمام أو بعصمة الإمام وطهارته، وبمقامه وقدسيته، إذن فالقدسية ليست صنمية أو تأليهاً أو شركاً، بل على العكس هي عين التواضع والطوعانية للتوحيد؛ لأنها لله وللرسالة ولا تكفر بفعل الله، لأن الرسالة وهي حاكمية الله تعالى موطن من مواطن التوحيد؛ وبالتالي فإنك تطيع الله وتؤمن به.

إذن تعظيم من أعظمه الله هو من تعظيم الله عزّ وجلّ ، وهذا عين التوحيد وعين الذوبان في التوحيد وعين الشفافية وعين الانصراف لصراط الله ولوجهه الكريم، وهذا في نفسه بهذا الشكل الموجز الذي مرّ - ومن الممكن وصف أركانه ومقدماته بشكل واسع - هو في نفسه دليل عقلي. فالتعظيم لرسول الله والتعظيم للإمام وما شابه ذلك، متلازم مع تعظيم القرآن الكريم وتقديسه، ولماذا أنصفت الشريعة المقدسة هذه المقدسات، فالكعبة مقدسة حتى عند خوارج هذا الزمان، فهل التقديس للكعبة

والتعظيم لها صنمية؟ يعني جعلناها صنماً باعتبار أن الله عز وجل حباها بالكرامة والقدسية والمكانة والعطاء، وهذا هو نوع من الطوعانية لله عز وجل ، بينما إباء ذلك هو استخفاف بأمر الله وفعل الله.

فإذن التعظيم أدب سلوكي إلزامي في نهج القرآن الكريم، والاستخفاف به نوع من الرد على هذه الآيات الكريمة.





الفصل الثاني

حقيقة أبعاد هدنته عليه السلام



الحسن شبيه جدّه وأبيه:

كان الإمام الحسن عليه السلام - كما في الروايات - أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الصدر إلى الرأس، ومن الصدر إلى القدم أشبه بأمير المؤمنين عليه السلام، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام انه قال: **الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما كان أسفل من ذلك**[1].

وعن أنس قال: **لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي وفاطمة «صلوات الله عليهم أجمعين»**[2].

الإمام الحسن عليه السلام يرث من جدِّه بوراثة اصطفائية تكوينية الهيبة والسؤدد:

روي أن السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالحسن والحسين عليهما السلام إلى جدهما صلى الله عليه وآله في مرض موته وقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً.

فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

أمّا الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فإن له جودي وشجاعتي[3].

---

(١) الاستيعاب، ج ١: ٣٨٤.

(٢) مسند أحمد ج ٣: ١٦٤.

(٣) الإرشاد، للمفيد، ج٢: ٧؛ كشف الغمة، للأربلي، ج ٢: ١٤٠.

وسوف نلاحظ من خلال حياة الإمام الحسن عليه السلام كيف أن هذا السؤدد والهيبة كانت له عليه السلام، منذ صغره في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم استشهاده عليه السلام.

فقد كانت هذه الهيبة والسؤدد الخاصة على نفوس القريب منها والبعيد بعد إذن من الله سبحانه وتعالى، وكيف لا وهي صفات خلقها الله تعالى في شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم روحاً ونفساً، ثم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقلها الله تعالى وراثة تكوينية اصطفائية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام الحسن عليه السلام.

ومن الطبيعي أن هذه الصفات هي متوارثة لدى عموم أهل البيت عليهم السلام، فهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علمه وخُلقه وخَلقه، وأمّا الصفات الخاصة فهذه مخصوصة للإمامين الحسنين عليهما السلام، ولذا نرى في مصادر وكتب الطرف الآخر عندما يصلون إلى الإمام الحسن عليه السلام يبدون نوعاً من الإجلال الخاص له عليه السلام.



سؤدد وشجاعة الحسين عليه السلام:

وهذا السؤدد أيضاً ورثه الإمام الحسين عليه السلام من أخيه ولكن بما أن حديثنا خاص عن الإمام الحسن عليه السلام فلذلك نسلط الأضواء على حياته المباركة عليه السلام، وإلا فالسؤدد والهيبة قد ورثها الإمام الحسين عليه السلام أيضاً من جدّه صلى الله عليه وآله عبر أخيه الحسن عليه السلام، ففي واقعة الطف نرى أن شهداء كربلاء قتلوا من خلال المبارزة أو المواجهة باستثناء أبي الفضل العباس عليه السلام، فإنه قتل غيلة وهذه ميزة خاصة لأبي الفضل العباس عليه السلام، في حين ميزة الإمام الحسين عليه السلام أنه لم يقتل مباغتة ولا بالمبارزة لأنهم لم يستطيعوا قتله، بل من مسافة بعيدة استطاعوا قتله برميه بالسهام والحجارة، وهذا ما اعترف به عمر بن سعد لعنه الله حيث قال لقومه: (الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب، وكانت الرماة أربعة آلاف، فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله)[١].

وفي هذا الصدد يقول ابن حجر: ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول[٢].

وأمّا من حيث الهيبة فقد قال بعض أعدائه: لقد شغلنا جمال وجهه ونور بهجته عن الفكرة في قتله[٣]. فهذه الشجاعة التي ورثها عليه السلام من جدّه صلى الله عليه وآله ليست صدفة أو اتفاقاً، بل وراثة تكوينية، اصطفائية.

---

(١) البحار ج ٤٥: ٥٠.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٩٧.

(٣) اللهوف لابن طاوس: ٧٥.

غياب الحقائق التأريخية:

إن حقائق التاريخ مغيبة عنا تماماً، بل ليس هذا التغييب والتعتيم في التأريخ فقط بل في الأحداث الخطيرة والحساسة التي نعاصرها الآن حقائقها مغيبة عن عموم الناس، فإنها - الأحداث - تزيّف وتقلّب عن وجهتها الحقيقية، وذلك بأن يعطيك نقطة موهمة ركزت عليها عدسة وكالات الأنباء أو الفضائيات ويهملون اللقطات الأخرى الأصلية المحورية الخطيرة، فلما ترى لقطة مبتورة وموهمة وهذه اللقطة طبعاً لو كانت من ضمن مسلسل من الأحداث تراها بواقعيتها الصحيحة ولكن لما تراها مبتورة توهم وتأخذ بك الخيالات والمآخذ يميناً وشمالاً وبصورة بعيدة جداً، هكذا هي طبيعة النقل المبتور، والكلام هو نفسه في عدسة التأريخ. ولذا نرى الآن الكثير مما هو معشعش في أذهاننا عن الأحداث التأريخية أو المعاصرة فيها زيف كثير، لأن الحقيقة لم تصل إلينا، ومن بإمكانه أن يلم بالحقيقة أو يجمع كل الحقائق إن هذا صعب جداً ورب مشهور لا أصل له.

وقد ذكر مراراً في بحوث مراكز الاستراتيجيات أن أكثر الحروب سواء كانت إعلامية أو عسكرية أو اقتصادية بل حتى المواجهات والمنازعات هي حروب نفسية، يعني زيف وخدعة وتحايل، فالحرب خدعة، عشرون بالمائة واقعية حق والباقي كله تطبيل إعلامي وإثارات مشاكل وفتن وإحن، ولكن الحقيقة شيء آخر، ومن باب المثال الآن أكثر المشاكل في العالم الإسلامي هي بسبب الانتماء العقائدي، والكلام هذا

ليس من باب التعصبات الطائفية ولكن من باب أنه يزعم أن الخريطة الديمغرافية للعالم الإسلامي والعقائدي يدعي أن الأغلب من أهل السنة، ولكن هذه ليست من الحقيقة، ولا المقصود أن أكثر العالم الإسلامي اثنا عشرية، بل من فرق الشيعة التي المدار والضابطة فيها هي من فضّل علياً فيدخل فيه الواقفة والزيدية والإسماعيلية، فمثلاً الصوفية أكثر العالم السني التي تتبنى في مذاهب الفروع تتمسك بالمذاهب الأربعة، أمّا أكثر العالم الإسلامي في العقائد ليس هم أشعرية ولاسلفية، ولا معتزلة، ولا ماتريدية، ولا كرامية، ولا إباضية، ولا جهمية، بل هي من مذاهب الصوفية، فإن الصوفية سبعون فرقة، وفي أوائل معتقدهم أن الأئمة الإثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي (عج) ولد وهو حي يرزق، وهم أئمة الملكوت، وأئمة الآخرة هذه هي معتقدات الصوفية، فهي فرقة من فرق الشيعة ولا أريد أن أدعي أنهم اثنا عشرية فقد تسجل عليهم نقاط، وهذا بحث آخر. ولهم وجود في تركيا والجزائر وغير ذلك من البلدان الأخرى، وهذه الحقيقة لم ينبه عليها علماء الإمامية وتجاهلوها في تراجمهم وفي علم الملل والنحل. وإظهار هذه الحقائق والبحث عنها يحتاج إلى جهد وتعب، نعم جزى الله الماضين من علمائنا وشكر الله سعيهم، ولكن هذا الجهد هنا يراد له أجيال وجهود متظافرة.



قوة تدبير أمير المؤمنين عليه السلام:

مثال آخر على التعريفات التأريخية المغلوطة أنه يقال إن تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينتصر في معركة صفين وحربه مع الأمويين، وهذه الفكرة معشعشة في الذهن بتصديق وبجرعات أموية - عباسية، بينما القرائن المتناثرة التي يمكن جمعها من مصادر تأريخية كثيرة جداً تبين أنه لو قدر الله أن يبقى الإمام علي عليه السلام بعد شهر رمضان لكانت عدة الجموع التي حشدها في النخيلة بعد أن صفيت من الخوارج ومن الشكاك والمتقاعسين تلك العدة هي الضربة العسكرية القاضية لمعاوية، وليس هذا إعجازاً أو إرهاصاً غيبياً. هذه الحقيقة مغيبة أصلاً عن أذهان المحبين، فضلاً عن المناوئين فمن خصائص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جعلها الله تعالى له كما قال الإمام الحسن عليه السلام في تأبينه عليه السلام بعد دفنه: **«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه...»**[١].

وكذلك ما ورد في الزيارات لأمير المؤمنين عليه السلام... «السلام على من أيده الله بجبرئيل وميكائيل».

فقد قدر الله لعلي بن أبي طالب عليه السلام أنه لا يدخل في جيش ويهزم.

---

(١) أنساب الاشراف، ج ٢: ٤٩٩.

وقد اعترف بذلك عدوّه معاوية حيث قال عندما بلغه خبر مقتل أمير المؤمنين عليه السلام: إن الأسد الذي كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه. وأنشد يقول:

قل للأرانب ترعى أينما سرحت وللظباء بلا خوف ولا وجل[1]

إذن في أي دولة يهزم الإمام علي عليه السلام؟!، بل كان تدبيره عليه السلام بنحو كما تطالعنا بذلك جملة من القصاصات المتناثرة - بدواعي طمس الحقائق - تمثل تشكيلة من الجيش الذي يصول به، لايعتوره ما أعاق النصر من قبل قلة بصيرة أفراد الجيش فكان بتدبير وضربة قاضية من الإمام علي عليه السلام لمعاوية هي صفين، ولم يفل منها في آخر الأيام إلا بحيلة، وقليل ما أخذ أنفاسه معاوية وإلا كانت ضربة تقصم ظهره، ولكن انظر إلى هذا التأريخ المقلوب بأقلام تبتغي التعميم على الحقيقة كيف يقرأ هذه الحادثة.



(١) منتهى الآمال للقمي، ج ١: ٢٥٨.

حقائق أخرى:

الآن أيضاً في أذهان الكثير من المسلمين في معركة أُحد مشهد للأحداث المرتسم في أذهان عموم الأجيال أنه ينقطع بهزيمة المسلمين، ومن الواضح أن المسلمين انهزموا ولكن هل انتهت المعركة؟ !. كلا ولكن قطعت سلسلة مشاهد وحقائق الحدث لأن المقطع اللاحق مرتبط بالإمام علي عليه السلام، فهو الذي حقق النصر مرة ثانية للمسلمين وهزمت قريش، قريش التي انتصرت على رسول الله صلى الله عليه وآله حسب ادعاء القلم الأموي في كتب التأريخ، حيث إنهم ادعوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله صعد إلى جبل، فهل رسول الله صلى الله عليه وآله يفر من الحرب؟ !. كيف يفر من الحرب والقرآن أمره أن يحارب ولو بنفسه الشريفة مفرداً كما في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[1] فمن خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله أن الجهاد واجب عليه ولو بقي وحيداً، فكيف يصعد إلى الجبل فراراً من الحرب، إنها دعاوى متناقضة مع ثوابت الدين، إن قريشاً المتغطرسة والمتوغلة في الفاحشة والرذيلة ورؤسائها وزعمائها الذين بقروا بطن عم النبي صلى الله عليه وآله حمزة عليه السلام ومثلت به لا تغير على المدينة بعد أن انتصرت ولا تسبي النساء ولا تسرق الأموال؟!، فهل هم نزيهون أم ملائكيون؟

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما انهزم الناس يوم أُحد عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله لم أقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا وبقي معه علي عليه السلام وسماك بن خرشة أبو دجانة رحمه الله فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حل من بيعتك، فأما علي فأنا هو وهو أنا فتحول وجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وبكى وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لاجعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك فإلى من أنصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت أو ولد يموت أو دار تخرب ومال يفنى وأجل قد اقترب، فرق له النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة وهو في وجه وعلي عليه السلام في وجه فلما أسقط احتمله علي عليه السلام فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت بيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبي صلى الله عليه وآله خيراً، وكان الناس يحملون على النبي صلى الله عليه وآله الميمنة فيكشفهم علي عليه السلام فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع فيومئذ أعطاه النبي صلى الله عليه وآله ذا الفقار ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك فأقبل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدام حيزوم وما أهم أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل أن أضربه؟ فقال هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن هذه لهي المواساة فقال: إن علياً مني وأنا منه فقال جبرائيل: وأنا منكما، ثم انهزم الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي امضِ بسيفك حتى تعارضهم فإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون

المدينة فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص، فقال أبوسفيان لعلي عليه السلام: يا علي ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل فدخل أبوسفيان مكة فأخبرهم الخبر وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبخونه ورحل النبي صلى الله عليه وآله والراية مع علي عليه السلام وهو بين يديه فلما أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى علي عليه السلام أيها الناس هذا محمد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال: «الآن وقد هزمنا»: هذا علي والراية بيده حتى هجم عليهم النبي صلى الله عليه وآله ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه والنساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور وجززن النواصي وخرقن الجيوب وحرمن البطون على النبي صلى الله عليه وآله فلما رأيناه قال لهن خيراً وأمرهن أن يستترن ويدخلن منازلهن وقال: إن الله عز وجل وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها وأنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾(١) (٢).

فقد أرادوا أن يغيروا على المدينة لولا مواصلة السير خلفهم حتى قال معد بن أبي معبد الخزاعي عندما سأله أبوسفيان «المشاق لله ولرسوله» عن المسلمين فقال: قد والله تركت محمداً وأصحابه يحترقون عليكم، وهذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٢) الكافي ج ٨: ٣١٨.

علي بن أبي طالب قد أقبل على مقدمته في الناس، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه[1].

ثم بعد ذلك قرر أبو سفيان الإسراع بالرحيل إلى مكة وبعد ذلك عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة. فكيف ينزهون قريشاً وأبا سفيان وبني أمية عن مثل هذا وأنهم لم ينهزموا، وهذا ما نشاهده في عصرنا الراهن من قلب الحقائق وتزييف الأراجيف وتصوير الانهزام بطولة وشرفاً وتصوير البطولة خسارة وضياعاً وما شاكل ذلك من المقولات، وهذه حقيقة مرة، وترى بعض رواد الفكر لايزال ذا نزعة أموية إلى الآن، والبعض يقبع في هذا الفكر الأموي المتبجح به في بعض البلدان، والبعض الآخر يتبجح بصحابة مجموعة السقيفة متقنعاً بالتشبث بالقرآن وبالسنة النبوية وغير ذلك. ونرى إلى اليوم راية الأمويين وأسمائهم شعاراً خالداً له. فهناك بعض البلدان والمدن والمساجد تتبرك وتتيمن بالأمويين وأسمائهم. فهل تريد منهم أن يعطوك الحقائق أو يعترفوا بها؟.



(١) بحار الأنوار، ج٢: ٩٩.

الحوار والحقيقة الضائعة:

ونرى الكثير من المؤمنين إذا دخل في حوار مع الطرف الآخر يحاور لأجل المصانعة وبنفسية غير مصرة على دراسة الحقيقة كما هي، ولا يصح مصادرة الحقيقة الأساسية بأي شكل من الأشكال، نعم لابد أن نكون من دعاة الألفة الإسلامية ولكن لا على حساب أصل الحقيقة بل ألفة قائمة على الحقيقة لا ألفة قائمة على الزيف وعلى إغماط حق أهل البيت عليهم السلام ، وإلا فهذه ليست ألفة وتآلفاً بل مآلها فرقة وتنازعاً لأن مودة القربى هي المحور قرآنياً للألفة الثابتة.

إن هذا التزييف الذي حوّل غزوة أُحد إلى هزيمة على مر التأريخ والى الآن حتى الأطفال من المسلمين يستسيغون ذلك وأن النبي صلى الله عليه وآله صعد الجبل فراراً من الحرب. ولكن اعرض هذه المعطيات المنقوصة لأي خبير عسكري كان أو أمني فإنه لايصدق ذلك، نعم رسول الله صلى الله عليه وآله صعد الجبل وقال انظروا هل قريش تركب الخفاف - الجمال - أو الحوافر - الخيول - لكن بعدما انهزم المشركون مرة أخرى وهذا المقطع حذف لأنه تم بعلي عليه السلام وفيه هروب صحابة السقيفة.

يقول ابن هشام: ولما انصرف المشركون أرسل النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في آثارهم وقال له: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فأنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم. فقال

علي عليه السلام: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[١].

نعم لكن انصرافهم لم يكن صدفة ولا فجأة كما تصوره وترسمه هذه المصادر والكتب بل بعدما أصيبوا بالهزيمة مرة أخرى.

وفي رواية أخرى: فأقبلت أصيح أي الإمام علي عليه السلام - ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا عن المدينة[٢].

هكذا يصورون رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يتمنى - والعياذ بالله - أن لا تذهب قريش إلى المدينة خوفاً من الحرب وهو منعزل عن ساحة القتال. وأمير المؤمنين وأمير الغزوات عليه السلام فرح بذلك أيضاً وهو يتفرج من بعيد. ألم يكن هذا تزييف للحقائق التأريخية. كتابة التأريخ أغلبها على المكائد والزيف والدجل من سلطات الدولة الأموية والعباسية وغير ذلك. ولكن الحق هو ما نطق به أهل البيت عليهم السلام بشواهد ناصعة وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لخليفته أمير المؤمنين: **علي مع الحق والحق مع علي**[٣].

ومن أمثلة التحريف بالتاريخ ما ذكروه في غزوة مؤتة أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل الأمير على جيش المسلمين زيد بن حارثة اولاً فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ثانياً فإن قتل فعبدالله بن رواحة، وبعضهم جعل جعفر ثالثاً، بينما الحقيقة أن جعفر بن أبي طالب هو كان قائد الجيش أولاً فإن استشهد فزيد ثم عبدالله، لكنهم يصعب عليهم قيادة آل أبي طالب وكون الطيار منهم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣: ١٠٠.
(٢) سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق، ج ٣: ٥١٣.
(٣) الخصال للصدوق: ١٥.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكروه من أن غزوة تبوك لم يحصل فيها لقاء واشتباك عسكري مع جيش الروم بينما ما جاء في مصادر الخاصة يؤكد وقوع ذلك وهزيمة المسلمين في بدء المعركة ثم انتصارهم بمشاركة علي عليه السلام بعد انتدابه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بنحو إعجازي.

ومن هنا فإن قضية وتأريخ الإمام الحسن عليه السلام قد لعبت فيها الأقلام الأموية وحرفتها عن مسارها الحقيقي، فإن كثيراً من القضايا الحقيقية غير واصلة إلينا.



بيعة الإمام الحسن عليه السلام:

إن بيعة المسلمين للإمام الحسن عليه السلام وانتخابه للخلافة تختلف عن بيعة الخلفاء الثلاثة ما عدا أمير المؤمنين عليه السلام، فكما بايع الأنصار والمهاجرون أمير المؤمنين عليه السلام طوعاً واختياراً، فكذلك الإمام الحسن عليه السلام، حيث أجمعوا على بيعته كل من الأنصار والمهاجرين بملء إرادة وحرية اختيار من دون فرض وإجبار ولا تهديد بسطوة حديد أو طمع مال. وقد جرت بيعته في اليوم الثاني بعد استشهاد والده أمير المؤمنين عليه السلام، حيث روي «**ولما قتل أبوه علي رضي الله عنه، بايعه أكثر من أربعين الفاً، كلهم قد كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحبُّ فيه فبقي نحواً من أربعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان**»[1].

وفي رواية أخرى أن عبدالله ابن عباس قام بين يدي الإمام الحسن عليه السلام وقال:

معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه.

فاستجاب بالخلافة له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبدالله بن العباس عليه السلام إلى البصرة ونظر في الأمور[2].

---

(1) الاستيعاب، ج ١: ٣٨٥.

(2) الإرشاد للمفيد، ج٢: ٤.

ومن خلال هاتين الروايتين يتضح أن بيعة المسلمين والمهاجرين والأنصار للإمام الحسن عليه السلام وقعت بعد وفاة أبيه عليه السلام مباشرة، وهذا يدل على أنه لا يوجد أي خلاف في بيعته بل حصل الإجماع على ذلك هذا أمر.

والأمر الآخر أن الإمام الحسن عليه السلام لم يبايعه أهل الكوفة بأجمعهم بما فيهم من الأنصار والمهاجرين فحسب. بل على حد تعبير الرواية وما وراءها من خراسان، بل والبصرة أيضاً حيث أنفذ إليها عبدالله بن عباس.

وهذه ظاهرة عظيمة تدل على مدى الرصيد الموجود لأهل البيت عليهم السلام في ثقافة المسلمين وعقيدة المؤمنين. بحيث جعلهم يأتون إلى الإمام الحسن عليه السلام ويبايعونه طوعانية بلا جبر ولا إكراه وبلا تهديد وبلا طمع، إنما تلقائياً عقدوا تلك البيعة لإمامهم عليه السلام وبملء إرادتهم وإختيارهم مع أن الحسن عليه السلام هو ابن أمير المؤمنين عليه السلام فلم يمنعهم ذلك عن عقد البيعة له ولم يخالجهم أن تنتقل الخلافة من الأب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الابن الحسن السبط لرسول الله صلى الله عليه وآله أي إعتراض أو شبهة أو ريبة وكان الحال لديهم في تمام الانسيابية سيراً وعلى وفق وضوح من الموازين من القرآن والسنة المطهرة، ولا سيما أن جلّ المهاجرين والأنصار آنذاك كانوا في الكوفة مع علي عليه السلام لا مع الطليق معاوية، ولا ريب أن هذه أول ظاهرة توريث للخلافة الإسلامية بفعل من المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين وذلك في أهل بيت النبي عليهم السلام، بينما نفس هؤلاء المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين اعترضوا أشد الاعتراض والرفض والاستنكار على معاوية في عقد البيعة لابنه يزيد بأنه جعل الخلافة وراثة كسروية وقيصرية وملكاً عضوضاً، مع أن معاوية مارس مع المهاجرين والأنصار سياسة التهديد والإرعاب بالسيف والتطميع بالأموال بشكل كبير ورغم ذلك لم يستجيبوا له فما هو الفارق في رؤية

المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين بين أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين غيرهم من بني أمية أو بني العباس أو بني مروان أو بني تيم وبني عدي؟ ولماذا اندفعوا بشكل تلقائي سريع بلا تلكؤ ولا تمجمج ولا تباطؤ إلى عقد البيعة للحسن السبط لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن أمير المؤمنين علي عليه السلام فما هو فرق الوراثة في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الوراثة في بيوت أخرى من سائر الناس؟ فهل الوراثة في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمفاد قوله تعالى اصطفائية إلهية ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟[1].

و﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

وهم دعوة إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[3].

و﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾[4].

و﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5].

بينما الوراثة في بيوت سائر الناس قبلية وعصبية عرقية، ولو نلاحظ بيعة يزيد فإنها تختلف تماماً عن بيعة الإمام الحسن عليه السلام جملة وتفصيلاً، فإن المهاجرين والأنصار اعترضوا على معاوية عندما أراد أن يعقد البيعة لولده يزيد الفجور. وهذه البيعة بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بسنتين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

أي بعد بيعة الإمام الحسن عليه السلام باثنتي عشرة سنة، وخلال هذه الفترة - كما هو معروف - قد تسلط معاوية على رقاب الناس. وقد إعترضوا عليه أشد الاعتراض من أنه كيف تعقد البيعة لابنك يزيد فهل الخلافة وراثة كسروية وهرقلية؟ في حين هذا الاعتراض لم يعترض المهاجرين والانصار على أنفسهم في بيعتهم للإمام الحسن عليه السلام وهم يعرفون جيداً أنه ابن الإمام علي عليه السلام.



بيعة يزيد الفجور والفسق:

يقول أبو الحسن المدائني: لما مات زياد، وذلك سنة ثلاث وخمسين، أظهر معاوية عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، ويشاور، ويعطي الأقارب ويداني الأباعد، حتى استوثق له أكثر الناس[(١)].

حتى أن معاوية قال لولده يزيد المجون:

يا بني إني قد وطأت لك الأشياء وأذللت لك الأعداء، وأخضعت أعناق الناس لبيعتك[(٢)].

وفي قول آخر: أخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد[(٣)].

ولكن في المقابل نرى أمير المؤمنين عليه السلام لم يلجئ أمر البيعة لولده الإمام الحسن عليه السلام إلى المسلمين إرغاماً وإكراهاً على أنفسهم. مع أن النص الإلهي في القرآن وتنصيص النبي أن الأمر من بعد علي عليه السلام هو للحسن عليه السلام. حيث دخل عليه الناس يسألونه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أرأيت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن؟[(٤)].

---

(١) العقد الفريد ج ٤: ٣٤٥.
(٢) أنساب الأشراف، ج ٥: ١٥٣.
(٣) الدولة الأموية: ٣٥٧.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٦: ٨٠؛ مروج الذهب ج٢: ٤٢.

فلم يتهددهم ويتوعدهم ويتعسفهم لبيعة الحسن عليه السلام بل أوكل امتحان ذلك إلى مدى بصيرتهم وطاعتهم لنصوص القرآن ووصايا النبي في أهل البيت وأنهم أحق بالأمر من غيرهم.

بينما معاوية هدد المهاجرين والأنصار بالسيف وطمعهم بالمال ومع كل هذا لم يستجيبوا له إلا القلة القليلة فإنهم استجابوا تحت بريق السيف خوفاً من القتل، حتى أبناء الخليفة الأول والثاني[١] اعترضوا عليه أشد اعتراض.

وقيل إن أهل الحجاز لم يرضوا، فسار معاوية بنفسه على رأس جيش إلى مكة والمدينة وأخذ على أهلها البيعة ليزيد بالقوة، ولكن ظل نفر لم يقبلوا أن يبايعوا طوعاً، ولا هم استطاعوا أن يقاوموا، فسكتوا ثم أخذوا يعدون العدة للانتفاض على بني أمية حينما تسنح الفرصة[٢].



(١) تاريخ الخلفاء ج ١٩٦ - ٢٠٣.
(٢) تاريخ صدر الإسلام: ١٢٠.

الفرق بين البيعتين:

انظروا إلى الفرق بين البيعتين، ملحمتان تاريخيتان من الصحابة المهاجرين والأنصار متعاكستان، متجاذبتان، متخالفتان، فكيف يمكن تفسيرهما؟! وقد حدثت تلك البيعة الظالمة الغاشمة ليزيد المجون في غضون اثنتي عشرة سنة.

فربما يتساءل كيف المهاجرون والأنصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعقدون البيعة طوعانية للإمام الحسن عليه السلام ابن الإمام علي عليه السلام بعد خلافة أبيه ولا يرفضون ولا يمنعون ولا يعترضون على أنفسهم، بأنكم عقدتم البيعة للابن الحسن عليه السلام بعد الأب علي عليه السلام، وأن الخلافة وراثية بينما أشكلتم بهذا الاعتراض والمحذور نفسه على يزيد بن معاوية الأموي. حتى قال عبدالرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر[١].

وهذا يعني أنها وراثة قبلية عشائرية. ولكن في مقابل ذلك لم يقل أحد بهذا الاعتراض والمحذور في خلافة الإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا موقف عظيم في سيرة المهاجرين والأنصار وصحابة الرسول صلى الله عليه وآله والتابعين والصدر الأول من المسلمين ذو مداليل هامة كبيرة وكثيرة في العقيدة الإسلامية نابعة وكاشفة عن مدى حجم التشريع الإلهي في القرآن والسنة المطهرة في النص على إمامة وقيادة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ونصبهم للخلافة، فكانت في الحسن عليه السلام آية عظيمة على

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٩٦.

إمامة أهل البيت عليهم السلام خضع لتلك الآية جميع المهاجرين والأنصار وصحابة النبي صلى الله عليه وآله إلا من شذ، وكيف لا تتجلى في الحسن عليه السلام هذه الآية التي انقاد لها المسلمون في الصدر الأول وقد ورث الحسن عليه السلام عن جدِّه المصطفى السؤدد والهيبة وساد مقامه في بصيرة عقول ونفوس المهاجرين والأنصار كيف وقد سمعوا نصوص القرآن الكثيرة في شأنه وشأن أصحاب الكساء النبوي جدّه وأبيه وأمه وأخيه، ونصوص النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسين (إمامان قاما أو قعدا) وأنهما (سيدا شباب أهل الجنة) والكثير مما رواه مستفيضاً الفريقان، فكانت البيعة الطوعانية للحسن عليه السلام من المسلمين، وهذا برهان عظيم يدلل على أن سلالة أهل البيت عليهم السلام تختلف عن باقي السلالات، وأن سلالة أهل البيت عليهم السلام في ثقافة المسلمين التي استمدوها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة هي سلالة اصطفائية وليست سلالة قبلية بل ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).



(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

خلافة الأول والثاني:

ومن ثم يتضح أن الصحابة من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين، لو خلوا وأنفسهم ولم يهددوا ولم يمانعوا بقبيلة بني أسلم عندما ملؤوا سكك المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعامل ضغط من جماعة السقيفة على المهاجرين والأنصار على أن يعقدوا البيعة للخليفة الأول لما بايعوا أبا بكر بل لاندفعوا بإيعاز من القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيعة علي عليه السلام وأهل بيته، كما حصل ذلك بعد عثمان، حيث اندفع المهاجرون والأنصار والمسلمين لبيعة علي عليه السلام بتدفق عظيم كالسيل الهادر كما ذكرته المصادر الحديثية والتاريخية لم يشهد مثله في عقد بيعة الأول فضلاً عن الثاني والثالث.

فعن زائدة بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢ هـ) قال: كان جماعة من الأعراب من بني أسلم قد دخلوا المدينة للميرة يوم الإثنين فشغل الناس عنهم بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأنفذ إليهم واستدعاهم وقال لهم: خذوا بالحظ والمعونة على بيعة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه! قال (أي قدامة): فوالله لقد رأيت الأعراب قد تحزموا واتشحوا بالأُزُر الصنعانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطاً، وجاؤوا بهم مكرهين إلى البيعة(١).

---

(١) الجمل للمفيد: ١١٩.

وروى الطبري عن الكلبي: إن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: لما رأيت أسلم أيقنت بالنصر[(١)].

وفي الموفقيات: فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم[(٢)].

وهذا يعني أن العملية كانت محبكة وتحت الضغط والتهديد، وهذه القضية نفسها تكررت مع الخليفة الثاني والثالث. وهي امتداد وبقاء لظاهرة موازين القوى الاجتماعية السياسية لظاهرة تكتل الأحزاب في المجتمع القبلي قبل دخوله في الإسلام تحت خوف قوة السيف الذين شكلوا حرب الخندق وهذه الشبكة من معادلة القوى لم يبادوا ولم يفنوا، وإنما انتشروا، ولم يكن ترابطهم وتواصلهم وتواجدهم وتكتلهم نوع من التجمع المعلن بل مبطن وفي السر، وما أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله عاد إلى البروز لكي يسيطر على الأوضاع ويستولي على أوضاع المدينة بسبب وبعد التصدع الذي حصل عند الأنصار، وبسبب هذا التصدع طمعت القوى الأخرى أن تستولي على أوضاع المدينة المنورة ببني أسلم. بعدما كانوا - الأنصار - اليد الضاربة لرسول الله صلى الله عليه وآله وبهم قد أسس دولتهُ في المدينة ولهم أطمأن النبي صلى الله عليه وآله وهاجر من مكة إلى المدينة، ولكن هذه اليد تصدعت فيما بعد وفاته صلى الله عليه وآله، بعدما كانت هي اليد الضاربة والدافعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولمشروعه الإسلامي الكبير، وقد أشارت إلى كل هذا السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، حيث ذكرت ذلك مفصلاً في تحليلها السياسي لأوضاع المسلمين تحليلاً دقيقاً.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢: ٤٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦: ١٩؛ غاية المرام للبحراني ج ٥: ٢٠٦.

بيعة الإمام علي المرتضى عليه السلام:

والمهم بقيت هذه الأحداث إلى أن انتهت خلافة الخليفة الثالث، وعندما بدأت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية، جاء المسلمون والمؤمنون من المهاجرين والأنصار بملء طوعانيتهم وحريتهم يبايعون أمير المؤمنين عليه السلام، لأن هذا الموقف هو الوظيفة الطبيعية الأولية لتربية القرآن ولتربية الحديث النبوي لعقلية الصحابة من المهاجرين والأنصار والمسلمين، فلو خلوا وأنفسهم ولم يكن هناك سيف رادع من بني أسلم أو من معاوية أو من يزيد الفسق والفجور ومن كل الأنظمة الجائرة، فإن المسلمين بطبيعتهم المنطلقة من تعاليم القرآن والسنة النبوية يميلون إلى أهل البيت عليهم السلام، ويولوهم سدة الخلافة، ولذلك نلاحظ هذه الظاهرة وهي بيعة المهاجرين والأنصار بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام من دون أي تلكؤ ولا أي تأخير ولا تباطؤ. ومن الواضح أن المهاجرين والأنصار في ذلك الحين كانوا في العراق ولم يكونوا في الشام إلا النزر القليل جداً، وهذا النزر القليل ما ذهبوا إلى الشام لولا تسلط معاوية عليهم بضخ الأموال الطائلة ليرشيهم لصالحه.

وإلا فأكثرهم الغالب قد سكنوا الكوفة لأنها هي دار الإسلام والخلافة آنذاك.



بيعة الإمام الحسين عليه السلام:

وبعد هلاك معاوية عقد المسلمون البيعة للإمام الحسين عليه السلام وهذه نكتة بالغة الأهمية في سيرة المسلمين في الصدر الأول بعد ظاهرة اندفاعهم كالسيل المتدفق مرة ثالثة إلى أهل البيت عليهم السلام بعد ظاهرة بيعتهم لعلي عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فإن الكتب التي أتت لسيد الشهداء عليه السلام كانت من الشام والعراق فضلاً عن اليمن وأهل مكة والمدينة، وهذا ما صرح به الإمام الحسين عليه السلام خلال حديثه مع الحر بن يزيد الرياحي، حيث قال الإمام الحسين عليه السلام للحر بن يزيد الرياحي ولأصحابه:

أيها الناس أنا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أولى بولاية هذه الأمور عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالظلم والعدوان فإن تتقوا بالله وتعرفوا الحق لأهله فيكون ذلك لله رضى، وإن كرهتمونا وجعلتم حقنا وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم وقدمت به رسلكم انصرفت عنكم. قال: فتكلم الحر بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال: أبا عبدالله !ما نعرف هذه الكتب ولا من هؤلاء الرسل. قال فالتفت الحسين عليه السلام إلى غلام له يقال له عقبة بن سمعان فقال: يا عقبة! هات الخرجين اللذين فيهما الكتب، فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنشرها بين أيديهم ثم تنحى، فتقدموا ونظروا إلى عنوانها ثم تنحوا[1]. هذا بالإضافة إلى المصادر الأخرى

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٣٣؛ وقد أخرج عن الفتوح ٥/ ٨٧؛ وتاريخ الطبري ٣/ ٣٠٦؛ ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٢٣٢؛ وبحار الأنوار: ٤٥/ ٢٣٨؛ والعوالم: ١٧/ ٢٣٧؛ والبداية والنهاية: ٨/ ١٧٨.

التي ذكرت أهل البصرة وتعاطف الصحابة وأبنائهم في المدينة ومكة ومعه عليه السلام.

وقال عليه السلام أيضاً:

أيها الناس إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقمت عليّ رسلكم: أن اقدم علينا فليس لنا إمام....

فقال له الحر: أما والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه...[١].

وكان ممن كاتبه وبايعه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس وغيرهم الذين أصبحوا فيما بعد تحت قيادة عمر ابن سعد لعنه الله بسبب ما أشرنا إليه سابقاً من سطوة الظلمة والسيف عليهم.

وقد اجتمع وجهاء أهل الكوفة في بيت سليمان بن صرد الخزاعي:

وقام سليمان خطيباً بهم وقال:

«... وقد قعد موضعه - أي معاوية - ابنه يزيد وقد بايعه جماعة من سخفاء العقول وسفهاء الحلوم....».

وعندما أتم خطبته قال القوم:

«لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا ونبذل مالنا دونه... »[٢].

إذن البيعة قد تمت للإمام الحسين عليه السلام حتى من بعض أعدائه وممن

(١) البحار ج ٤٤: ٣٧٤؛ ناسخ التواريخ ج ٢: ٣٢٧.
(٢) المصدر السابق.

قاتله. يعني أن هذه الظاهرة التي هي بالحقيقة حصلت للإمام الحسن عليه السلام هي بعينها حصلت وتمت للإمام الحسين عليه السلام ولكن بشكل أخف وذلك باعتبار تبعثر الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية آنذاك. ولذلك ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنه كان المقدر لبدء دولة أهل البيت مع التمكين في الأرض كوراثة الصالحين المتقين لعاقبة الأرض التي لا تزول أن تبدأ بالإمام الحسين عليه السلام فيكون هو مهدي آل محمد (عج) أي المقيم لدولة الوراثة الاصطفائية دولة التعاقب للمتقين ومن بعده يتعاقب على تلك الدولة بقية الأئمة عليهم السلام، إلا أن إخفاء المؤمنين والمحبين في تعاليم القيام بنهضة سيد الشهداء عليه السلام هو الذي بدا لله عز وجل، يؤخره إلى خروج قائم آل محمد «عج».



الإمام علي الرضا عليه السلام وولاية العهد:

وأمّا ولاية العهد التي احتال بها المأمون العباسي للإمام الرضا عليه السلام فهي لم تكن عن صدفة ولا حسن نية من المأمون، بل أجبر على هذا العهد لضغط الشارع الإسلامي، فلماذا لم يأت المأمون العباسي بأحد فقهاء أهل سنة جماعة السقيفة أو أحد الرموز السياسية الموالية له ويجعله ولياً للعهد وهذه ظاهرة رابعة في المسلمين تجاه أهل البيت عليهم السلام يلاحظها البصير الفطن، والسبب هو أن طبيعة الشارع الإسلامي هو الذي يملي ويضغط ويحكم على السلطات الجائرة بالميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك الطبيعة في المسلمين منطلقة بسبب تثقيف القرآن الكريم وتثقيف الحديث النبوي، فهما اللذان يمليان على المسلمين أن يميلوا إلى أهل البيت عليهم السلام من قبيل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]. وإنهم أصحاب الفيء وإدارة المال العام ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[3].

وهكذا الأحاديث النبوية الشريفة «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك»[4]، و(كمثل باب حطة في بني إسرائيل)[5]، وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٦.
(٤) تفسير الألوسي ج ٢٥: ٣٢.
(٥) الأمالي للطوسي: ٦٣٣.

ومن الملفت للنظر كظاهرة خامسة أن المسلمين في كل بقاع الأرض يهتفون بقلوبهم للإمام المهدي (عج) ولظهوره وخروجه وإقامته لدولة العدل والقسط في الأرض فإن تثقيف القرآن وتثقيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين تراهم يميلون إلى خلافة وإمامة أهل البيت عليهم السلام ولكن بشرط أن يُرفع عن رؤوسهم السيف القامع من حكومات الجور وسلاطين الطغيان، ويرفع عنهم طابور النفاق الذي يمول من حكام البغي والعدوان والتآمر ووعاظ البلاط الملكي والحكومي ويطمع ويجبن ويخذل الناس.

فإذا رفعنا الطابور القامع والطابور المرشي للأموال، فسوف يعود المسلمون إلى جادة أهل البيت عليهم السلام وهذا برهان عظيم على كون تعاليم القرآن الكريم وتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هما اللذان يشددان وبكل قوة على إمامة وخلافة أهل البيت عليهم السلام ، وأن توارثهم وراثة اصطفائية من الله.



آل الأنبياء:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، سلالة وذرية نورانية وليست سلالة ترابية طينية. فإن هناك عدة من نماذج الآل للأنبياء في القرآن الكريم مثل:

آل إبراهيم: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2].

آل يعقوب: ﴿عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾[3].

آل داود: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[4].

آل موسى وآل هارون: ﴿مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[5].

آل ياسين: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[6].

فإن الإل بمعنى الرحم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[7]، فـ(إل ياسين) مثل آل ياسين يعني رحم النبي صلى الله عليه وآله وقربى النبي صلى الله عليه وآله، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ فهم الآل الوحيدون الذين سلم الله عليهم في القرآن من بيوتات الأنبياء.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(2) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(3) سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.
(4) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(5) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.
(6) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
(7) سورة التوبة، الآية: ١٠.

وإن هذه الآل للأنبياء ليست كآل أبي سفيان وآل أمية وآل مروان وآل زياد وآل فرعون، وإنما هي آل بيوتات الأنبياء، فهم آل وسلالة اصطفائية، وهذا مع أن القرآن الكريم في تعاليمه ينبذ العصبية العشائرية والجاهلية وما شابه ذلك بمعنى أنه يهذبها أو ينظمها. ولكن التعصب بشكل مطلق فإن القرآن يردعه: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1]. ولكن في المقابل نرى القرآن الكريم يؤكد على عظمة هذه البيتوتات وهذه السلالة، لأنها اصطفاء ووراثة واختيار إلهي.



(١) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

احتجاج الإمام الحسن عليه السلام:

ذكرنا خصائص للإمام الحسن عليه السلام ومن تلك الخصائص التي امتاز بها عليه السلام بين أهل البيت عليهم السلام، وهو حجاجه مع الطرف الآخر، سواء كان الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث وحتى مع معاوية. لم يكن في كلامه أي مواراة أو مداهنة، بل كلامه عليه السلام صريح ومقنع ويفلج بالحقائق وبلا أي تستر، فمثلاً في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بالخطبة الشقشقية نرى الإمام علياً عليه السلام في بداية الخطبة تارة يكشف الأوراق وأخرى يجاري الناس على ما جروا عليه ولو بحسب الظاهر.

وهكذا الأمر في خطب الإمام الحسين عليه السلام حيث فيها عموميات وليس فيها تصريحات أو مكاشفات عن الطرف الآخر بل خطوط عامة تارة وأخرى تصريحات، مع أن سيد الشهداء عليه السلام لم يبايع معاوية حتى في نفس الظرف الذي هادن فيه الإمام الحسن عليه السلام معاوية. في حين الإمام الحسن عليه السلام من صغره - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله - إلى استشهاده كانت كل كلماته هو كشف الحقائق وكشف المستور، وهذه خصيصة عظيمة امتاز بها الإمام الحسن عليه السلام.

ففي خلافة الأول نادى الإمام الحسن عليه السلام على أبي بكر وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله أن انزل عن منبر جدي وأبي ليس هذا المقام مقامك. وهذا حرج شديد للسلطة الحاكمة، **فقد روي أن الإمام الحسن عليه السلام رأى أبا بكر على منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله والناس محدقون به، فاندفع نحوه مسرعاً وهو يقول:**

انزل عن منبر أبي.

فتبسم له أبو بكر وقال: بأبي أنت يابن رسول الله لعمري إنه منبر أبيك لا منبر أبي[(١)].

وقد روي في كتاب أحوال السقيفة أو كامل البهائي للحسن بن علي بن محمد علي بن الحسن الطبري المشهور بعماد الدين، وهو من أعلام القرن السابع الهجري ومن معاصري العلامة والمحقق الحليين ونصير الدين الطوسي، وقد جاء في كتابه: «**وفي اليوم التالي أقبل الناس لبيت فاطمة للصلاة على جنازتها، وعندما رأى المقداد أبا بكر قال له: لقد دفنّاها البارحة - أي السيدة الزهراء عليها السلام -، فقال له عمر: يا أبا بكر ألم أخبرك أنهم فاعلون ذلك، قال المقداد: لقد أوصت بذلك حتى لا تصلّيا على جنازتها، فأخذ عمر يضرب المقداد على وجهه ورأسه حتى أجهده كثرة الضرب، فخلصه الناس من بين يديه، فقام المقداد وقال له: لقد رحلت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا والدم ينزف من ظهرها وضلعها من ضربكم بالسيف والسوط إياها، وإنني لأحقر عندكم من علي وفاطمة. فقال عمر: والله لأحق الناس بالضرب والعقوبة علي بن أبي طالب، فجاؤوا إلى علي وكان جالساً عند باب بيته وأصحابه مجتمعون حوله، فقال عمر: يا علي، ألن تدع حسدك القديم، فقد غسّلت رسول الله من غير حضور منا، وصلّيت على فاطمة من دوننا، وحملت الحسن عليه السلام على أن يصرخ في وجه أبي بكر أن انزل من منبر جدي، فلم يقل علي في جوابه شيئاً. فقال عقيل: وأنتم والله لأشد الناس حسداً وأقدم عداوة لرسول الله وآله، ضربتموها بالأمس وخرجت من الدنيا وظهرها بدم وهي غير راضية عنكما**»[(٢)].

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٩٠؛ الصواعق المحرقة: ١٧٥؛ سيرة الأئمة الاثني عشر، ج١: ٤٧٧.
(٢) كامل البهائي ج١: ٣١٢.

وكذلك في خطبه عليه السلام بعد مهادنته لمعاوية أوضح الخطوط العريضة أو الحمراء كما يقال ومن تلك الخطب التي قال بعضها بمحضر من معاوية نذكر هذه المقاطع الشريفة:

«..... وإن معاوية زعم لكم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله عزّ وجلّ وعلى لسان نبيه، ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه. فالله بيننا وبين من ظلمنا. وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله. وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية. فلما خرجت من معدنها، تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأنت وأصحابك.....»[1].

فهنا يبين عليه السلام اغتصاب الخلافة منه ومن أبيه وبمحضر معاوية وجلاوزته وكشف في خطبته هذه الحقائق المستورة عن الناس.

وفي خطبة أخرى يقول:

«وايم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا (تصدوا) عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى....»[2].

وغير ذلك من الشواهد الكثيرة في خطبه عليه السلام وقد قالها مع وجود

---

(١) البحار، ج ١٠: ١٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٤: ١٠.

معاوية في مسجد الكوفة وقالها أخرى في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وبحضور معاوية وصفهم بما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله من أنهم طلقاء ولعناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأعدائه. وهذه الظاهرة من تجاذب قوة سياسية في قبال قوة سياسية وند في القدرة في قبال ند، وهذا الكلام وبهذه القوة يسلب الطرف الآخر من كل شرعية وصلاحية، ولم يستطع الطرف الآخر أن يتحرك أو يتكلم بشيء. أليس هذا سؤدد وهيبة دينية وسياسية واجتماعية.

ولم يقتصر الإمام الحسن عليه السلام على بيان مظلوميته فقط وبحسب ما رسمه له القرآن والسنة من موقعية قيادية للدين وللمسلمين بل بيّن مظلومية أهل البيت عليهم السلام كلهم كما ذكر ذلك في الخطبة الأولى التي مرت علينا، وراح يذكرهم بالسقيفة ومنعهم من الفيء وغصبهم فدكاً من أمه الزهراء عليها السلام، ووضع حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما خذله الناس وبعض الصحابة، وكان هذا الكلام والخطاب بمحضر معاوية وبمحضر بني أمية ومن لف لفيفهم وكان اعتراضاً وإدانة ليس على معاوية فحسب بل على الخلفاء الثلاثة أيضاً وبمرأى ومسمع من الناس. وفي المجالس العامة والمجالس الخاصة التي كانت عبارة عن مؤتمرات وندوات سياسية تنعكس على عامة المسلمين، وكانت جهاراً وليست سراً، في حين نرى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يذكر ظلامته وظلامة الزهراء عليها السلام في مواطن محدودة ومؤقتة، ولكن الحسن عليه السلام كان يبوح بذلك على طول الخط مع أنه قد دخل في هدنة سياسية وحربية مع الطرف الآخر ولكن حجة خطابه ومستند شرعيته مهيمن على خطاب الطرف الآخر، وهذه خصيصة خاصة للإمام الحسن عليه السلام.



حقائق سيرة الإمام الحسن عليه السلام:

إن كثيراً من الحقائق لسيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهدنته مع معاوية قد غيبت عن مركز ومحط الأنظار، وقد حذفت من مصادر التأريخ وإلى يومنا هذا، ولكن هي موجودة بنحو قصاصات متناثرة ومخفية في الكتب الحديثية والتأريخية، ومن ينقي ويستقرئ ويتابع تلك المصادر ربما يجد تلك الحقائق مبعثرة هنا وهناك، وقد جمعت قرابة أربع عشرة قصاصة وسوف نذكرها تباعاً ولو فهرسياً.



صلح أم هدنة؟:

إن الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح معاوية إطلاقاً، وإنما جعل بينه وبين الطرف الآخر المتمثل بمعاوية وجلاوزته هدنة، والهدنة بمعنى إيقاف الحرب فترة مؤقتة، وإن عبر عن هذا بالصلح وذلك بمعنى التوافق على إيقاف الحرب بشروط ومعلق على الوفاء بها ولكن ليس بمعنى أنه ترك زمام الأمور للطرف الآخر، بل كيان كل طرف يبقى على حاله فالهدنة ليس انعداماً لأحد الكيانين وبقاء الآخر ولا ذوبانه بالآخر، وبعبارة أخرى إن الإمام عليه السلام بدل القضية ونظام الدولة من خلافة موحدة - تحت إمرة أمير المؤمنين عليه السلام ثم الإمام الحسن عليه السلام - إلى نوع من التعايش بين قوى المعارضة. وإن لم يكن على أساس فدرالية أو كونفدرالية، كما يعبرون الساسة اليوم.

ومن باب المثال، الحزب الفائز بالانتخابات له وجود في الوزارات ولكن الطرف الآخر أيضاً له ذلك الوجود، فكل يأخذ موقعه، وهذا نوع من حكومة الظل، وهذه عملية من الموازنة التعايشية، حيث لها صياغات مختلفة، وإن الكثير يخطئ في قراءة خطوة وسياسة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ويظن أنه عليه السلام رفع يده عن كل شيء، ولكن واقع القضية ليس كما يزعم بل لم يرفع عليه السلام يده قط إلا عن شيء واحد ألا وهو إدارة التيارات الإسلامية الأخرى من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام، مثل إدارة الخوارج، وإدارة المستضعفين من المسلمين، وأما تيار وكيان أهل البيت عليهم السلام فلم يتخل عنه لا من الجهة المالية أو

البشرية أو العسكرية أو الأمنية أو السياسية أو الديموغرافية وعندما نقول لم يتخل بمعنى أن زناد تجدد الحرب والمواجهة كانت بيده عليه السلام وهناك شواهد تأريخية عديدة تؤكد أنه لو تعدى معاوية عن الخطوط الحمر التي توافق عليها الإمام الحسن عليه السلام معه فسوف تبدأ المواجهة من جديد، وكان عليه السلام يستطيع أن يتجنح بفئات مسلمين أخرى والتي هي من غير فئات أتباع أهل البيت عليهم السلام وهم كانوا على استعداد من ذلك. فهل هذا يعتبر تنازلاً وصلحاً؟! كلا، بل هو هدنة ليس إلا. والشاهد على ذلك وعلى بقاء كيان أهل البيت عليهم السلام بكل ممتلكاته الحضارية، والعقائدية، والعسكرية، والمالية، والبشرية، ونذكر ثلاثة عشر شاهداً على هذا، ومن الطبيعي أن هذا ليس كل شيء مما يمكن أن يجده المتتبع المحقق في معطيات وقصاصات مروية بل جمع ذلك على عجالة، والشواهد هي:

الشاهد الأول: سيطرة الإمام الحسن عليه السلام على زمام الأمور

إن معاوية الطليق كان حازماً أن الحسن بن علي عليه السلام لن يهادنه لجملة من المعطيات:

أولاً: لأن شيعته لا يرضون له بذلك.

وثانياً: الخوارج لن يسمحوا له بذلك أيضاً.

وثالثاً: أن الحسن عليه السلام لن يقدم على صلح لم يقدم عليه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام.

ومعاوية بذلك يستطيع أن يفتن بينهم، لأنهم تيارات مختلفة من أتباع أهل البيت وخوارج وبقية المسلمين من تيارات أخرى تتبع أهواء وآراء عديدة. والكوفة آنذاك لم تكن كلها من أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل ثلة قليلة أو الثلث منها كانوا من الشيعة. وليس كما يدعي البعض أنها كانت كلها موالية لأهل البيت عليهم السلام، وهذه النسبة من قلة الشيعة كانت حتى عند استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. بل إلى نهضة المختار كانت كذلك الكوفة. والمختار كان انتصاره في الكوفة شبه معجزة، لأن ثلثي الكوفة كانوا من المناوئين لأهل البيت عليهم السلام في ذلك الوقت. وكان فيها من أهل الشام أيضاً، ومن المعروف أن أهل الشام آنذاك كانوا يبغضون أهل البيت عليهم السلام ومن النواصب.

والمهم أن معاوية كان يراهن على أن هذا التشتت في الكلمة والتمزق

والتنازع الداخلي في جيش الإمام الحسن عليه السلام سوف يلعب على هذا الوتر وسوف يبيد رؤوس كل الموالين للإمام الحسن المجتبى عليه السلام. وبالتالي سوف تستقر له الأوضاع أكثر فأكثر. ولذا لم يكن بحسبان معاوية أن الإمام الحسن عليه السلام سيستطيع أن يسيطر على الموقف وتقع بعد ذلك هدنة فيما بينهم. ومقتضى الهدنة عدم تعدي أحد الطرفين على الآخر وحفظ كل طرف كيان الآخر إلا إذا لم يف أحدهما للآخر بالشرط الذي عيناه من الشروط. بينما كان تخطيط معاوية أن لا يبقى أي كيان لشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأتباعه، لا كيانهم البشري ولا الخطاب الفكري ولا العقائدي ولا المالي ولا العسكري بل ولا الانتشار الديمغرافي في البلدان. وهذا يؤرق معاوية والأمويين.

الشاهد الثاني: معاوية وقتل عمرو بن العاص

لما صالح معاوية أراد أن يقتل عمرو بن العاص وذلك لأنه كان أحد المستشارين لمعاوية، وكان يؤكد لمعاوية أن الصلح سوف لن يتم أبداً وإنما عرض الصلح وسيلة لهزيمة جيش الحسن عليه السلام وتغلب معاوية وليس وسيلة لوقوع الصلح حقيقة حيث يحفظ كيان التشيع والشيعة على حاله بما لهم من عدة وعتاد وقدرة ومال وهوية وأنت - يا معاوية - اعرض على الحسن عليه السلام ومنه بالصلح وبالتالي فإن عرض الصلح على الإمام الحسن عليه السلام ورفضه له سوف يشعل الفتنة في جيش الإمام الحسن عليه السلام مع الخوارج وبقية فئات المسلمين. حتى طعن الإمام الحسن عليه السلام في فخذه[1]، وبالتالي عرض الصلح إشعال لحرب الفتنة بينهم وسوف يكسر

(١) المقاتل، لأبي الفرج: ٦٣.

قوتهم ويدب الضعف والضعضعة بينهم. هكذا كانت الخطة من عمرو بن العاص مع معاوية. ولكن الإمام الحسن هادن عليه السلام لما كان يمتلك من حنكة سياسية بل بصيرة سياسية غامضة جداً على عقول البشر. بحيث كان أصحاب الإمام لا يعلمون بالتدبيرات التفاوضية الأمنية، وكيف سيكون القرار العسكري والقرار الاستراتيجي. ولم يستطع الناس المقربون للإمام الحسن عليه السلام أن يجدوا في كلماته عليه السلام أي تناقض في المواقف أو الكلمات أو العهود التي قطعها على نفسه، فكم هو تدبير دقيق اتخذه الإمام الحسن عليه السلام . وبذلك رأى معاوية الطليق أن مشروعهُ الدموي قد أفشله عليه عمرو بن العاص، وبقي الإمام الحسن عليه السلام على ما هو عليه من كيان واتباع وقوة وقدرة وكأن الصلح نظير صلح الحديبية الذي وصفه القرآن بأنه ﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] وإن لم يكن نصراً عسكرياً وحسماً حربياً، وقد ظنه الكثير من الصحابة أنه ذلة للمسلمين والحال أن واقعه عزة، وتخيلوه انهزاماً وفي واقع الحال هو فتح مبين، وكذلك الحال حصل الوهن والخيال تجاه هدنة وصلح الحسن عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن معاوية أدرك أن هذا فتح للحسن عليه السلام فمن ثم عزم على قتل عمرو بن العاص الذي أشار عليه بذلك.



(١) سورة الفتح، الآية: ١٢.

بنود المعاهدة:

ومن الواضح أن الإمام الحسن عليه السلام عندما هادن معاوية لم يفقد أي رصيد من قوته العسكرية والأمنية والسياسية قيد شعرة. وذلك لأن الإمام الحسن عليه السلام عندما هادن معاوية وضع شروطاً وكانت هذه الشروط كلها في صالح الإمام الحسن عليه السلام إلا شرط واحد في صالح معاوية الأموي وهو أن يترك الأمر له وبشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وبسيرة الخلفاء الصالحين. فقد كانت صورة ومواد المعاهدة هكذا:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله وبسيرة الخلفاء الصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

المادة الرابعة: إستثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي درهم. وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد(١).

(١) وهي ولاية بفارس على حدود الأهواز.

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة. وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي عليه السلام بمكروه، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي عليه السلام، ولا لأخيه الحسين عليه السلام، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعائلته، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق[1].



(١) صلح الحسن، للشيخ راضي آل ياسين: ٢٥٩ - ٢٦١.

الإمام الحسين عليه السلام لم يبايع معاوية:

ولما أبرم الصلح طلب معاوية وأصرَّ على البيعة من الحسين عليه السلام، فقال الإمام الحسن عليه السلام: يا معاوية لا تكرهه، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام(١).

وهذا وعلى أية تقدير فهذا الإصرار منه عليه السلام على عدم دخول أخيه الحسين عليه السلام في توافق الهدنة يعني أنه يا معاوية نحن وأنت في الكوفة الآن مشتبكين وفي الكوفة يوجد نسيج عسكري شيعي لأهل البيت عليهم السلام ونسيج عسكري خوارج، ونسيج عسكري أموي. فلمن يكون النصر إذن؟!

ولذلك تقول المصادر: فنزل معاوية عند رغبة الإمام الحسن عليه السلام، فكيف نزل معاوية عند رغبة الإمام الحسن عليه السلام؟. وهو مؤشر على وجود أوراق ضغط بها الإمام الحسن عليه السلام على أعدائه وهو عليه السلام لم يفقد أي ورقة من الأوراق. والغريب أن هذا التصوير غائب عن مخيلة الكثير.

ثم كيف يستطيع الحسن عليه السلام أن يرغم معاوية على القبول بكل الشروط الذي وضعها الإمام عليه السلام وهذه الشروط تصب في صالح أهل البيت عليه السلام وشيعتهم، وكيف يقرع ويجابه عليه السلام معاوية بخطبه التي كشفت الحقائق المطموسة على ما جرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وتعرية بني أمية عن الشرعية لو لم يكن لديه - الإمام الحسن عليه السلام - ظهر يحميه.

---

(١) منتهى الآمال، القمي، ج ١: ٣٢٢.

معاوية ينقض الهدنة:

الموقف والمجاذبة بين الحسن عليه السلام ومعاوية له دلالات كثيرة على واقع وحقيقة الهدنة:

منها: أن الإمام الحسن عليه السلام لا زال على قدرته ونفوذه قبل الهدنة وأن الأمور لم تستتب لمعاوية بمجرد الهدنة كما يظنه ويخاله الكثير. ومن ثم يتجاذب الحسن عليه السلام القرار والضغط على معاوية.

ومنها: أن مصير الخلافة الإسلامية قد اشترط بعد معاوية أنها للحسن عليه السلام ثم للحسين عليه السلام ومن البين أن مفاد هذا الشرط يعكس موقعية قوة وضغط تفاوضي يمتلك أوراقاً ونفوذاً وامتداداً في الساحة الميدانية لا ما يتخيله الكثير من كونه عليه السلام قد هادن وفقد سلاحه وجيشه وقدرته وسطوته بل هو أشبه ما يكون من توافقات الأحزاب المتعارضة على صيغة حكم توافقية يستلم فيها الأطراف والكتل سدة الحكم بشكل دوري بالنوبة، لاسيما وأنه عليه السلام لم يشترط الخلافة بعد معاوية فقط بل وبعده لأخيه الحسين عليه السلام وهذا يعزز ما مرّ أن في الذهنية العامة للمسلمين آنذاك التي تربت على تعاليم القرآن والحديث النبوي هو أن أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الحق للخلافة والوصاية ومن ثم لم ينقل عن أحد استنكار هذا الشرط أو النكير والطعن عليه وهذا من دلائل السيرة القطعية لدى الصدر الأول في أهل البيت عليهم السلام.

ومنها: أن فتح المجال للحسين عليه السلام خارج إطار الهدنة يعطي

مداليل أخرى من جعل المجال مفتوحاً لأهل البيت عليهم السلام في مواجهة المد الأموي وأن الخيارات أمامهم مفتوحة في معالجة توازن القدرة من دون تمكن معاوية في الالتفاف على الجسم العلوي في الأمة.

ولذلك عندما قال المسيب ابن نجية الفزاري[1] للإمام الحسن عليه السلام ها هو معاوية قد نقض العهد[2]. وذلك عندما قال معاوية إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون ألا وأني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي ولا أفي بشيء منها[3].

وقد قالها معاوية عند نزوله النخيلة وهي معسكر الكوفة وكان ذلك يوم جمعة فصلّى بالناس وخطب وقال قولته هذه.

إن معاوية لم يقل كلامه هذا في مسجد الكوفة لأنه كان يخشى من ردة فعل جيش الإمام الحسن عليه السلام. وليس كما يصوّر البعض من أنه سلب كل شيء من الإمام الحسن عليه السلام حتى السلاح، كلا. بل كان يستطيع أن يعيد المنازلة والمناجزة مع معاوية بعد الهدنة، حتى أن في بعض المصادر أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام احتوش باشتباك أمني عسكري إلى الحلقوم مع معاوية ولو ندقق أكثر فأكثر فسوف يتضح لنا أن الموقف فيه نوع من المناورة الأمنية العسكرية استدرج فيها معاوية إلى بطن الكوفة، وقد مزجت التيارات العسكرية والأمنية داخل بعضها

(١) من أصحاب الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم. قتل سنة ٦٥ في طلب ثار الحسين عليه السلام ووالد جمانة زوجة عبدالله بن جعفر الطيار.
(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٣: ١٩٧.
(٣) المقاتل لأبي الفرج الاصفهاني: ٦٩، منتهى الآمال للقمي ج ١: ٣٢١.

البعض. فكان الإمام الحسن عليه السلام هو الذي يدير دفة الأمور، وكان هو الذي يملي على معاوية شرطاً بعد شرط، وكان من ضمن تلك الشروط هي عدم مبايعة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حتى كانت خطبته عليه السلام تقرع معاوية بين الحين والآخر، فأخذ يذكر معاوية بأنه من الطلقاء وابن الطلقاء وهو تعرية لمعاوية عن الشرعية وأن إمساكه بالخلافة اغتصاب لأمر الدين والأمة، وتارة أخرى يبيّن مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وتارة أخرى يبطل خلافة الثلاثة، وغير ذلك من المشاهد وليس في الكوفة فقط بل حتى في المدينة، بحيث وصل الأمر أنه عليه السلام قطع كلام معاوية عندما كان يخطب في المدينة. فقام الحسن بن علي عليه السلام فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته ولم يكن نبي إلّا وله عدوّ من المجرمين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1] وإن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفراً وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقاً.

فقال عامة أهل المجلس: آمين. فنزل معاوية وقطع خطبته[2].

ومن هنا قال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى أظلمت عليَّ الأرض وهممت أن أبطش به، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية[3].

وهذا يعني أنه لم يستطع وإلا لاضطرب عليه الأمن وتصدع وإلا

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٢) كشف الغمة: ١٥٠؛ الاحتجاج للطبرسي ج١: ٤٢٠.

(٣) الأمالي، للطوسي: ٨٢٤.

لفعلها، فالإمام الحسن عليه السلام قام بمناورة عسكرية فجعل اشتباكاً نسيجياً بين الفرق العسكرية الأمنية، لا يستطيع أن ينجو معاوية منه، وهذا طامة تورط بها معاوية، وليس كما يصوره الأمويون وعباد بني أمية أن معاوية حليم، بل هو مخنوق بتوازن قوى ينفرط عليه حبل تماسك خيوط الوضع العام، وإنما أمسك معاوية نفسه بسبب قوة الإمام الحسن عليه السلام وحسن تدبيره الأمني والعسكري، بحيث لم يستطع معاوية أن يتنفس ويلعب على وتر الفتنة والمجابهة ومن ثم لم يستطع معاوية التخلص من قدرة الحسن عليه السلام إلا بالاغتيال السري لا بالمواجهة المعلنة فضلاً عن القبضة العسكرية أو الأمنية وهذا ما يؤكد ما نلحظه من المعطيات والشواهد الكثيرة أن الحسن عليه السلام لم يفرّط بعقد الهدنة بأي ورقة من خيوط القدرة التي كان يمسك بزمامها وإنما هي هدنة عسكرية وسياسية بين فصيلين سياسيين بقيا على إيقاف الحرب ومقررات التعاطي في التعامل السياسي.



السلم وإيقاف الحرب:

ولكن الإمام الحسن عليه السلام أغلق هذا الباب وهو التسلط التام والقضاء على تعدد القوى في وجه معاوية بعقد السلم كما جاء في كلامه عليه السلام في خطبة قائلاً:

أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وقد كانت لكم لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1] وأشار إلى معاوية بيده[2].

فالسلم هنا نوع من التهدئة المؤقتة وهذا أشبه بعقد سلم بين قوتين، لا أنه إنفراد قوة وتشتت قوة أخرى وتبعثرها وذوبانها في القوة الأولى ومعسكرها. ومعنى قوله عليه السلام: (سالمت معاوية) أي أنا لا أزال أحتفظ بكل قدراتي، وأن هذا العقد متضمن لإبقاء قوة الإمام الحسن عليه السلام بما له من معسكر بلحاظ قدرات أتباعه وشيعته العسكرية. ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[3]. أي نوع من الجنح المؤقت وهذا يعطينا تقريراً وتصويراً عن الوضعية العسكرية وقدرة النفوذ وموقف الإمام الحسن عليه السلام بشكل بين. فكيان الإمام الحسن عليه السلام وكيان التشيع والشيعة لم يتصدع

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ١٣: ٢٧٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

بل تمت رعايته والحيطة عليه من التلاشي والإبادة في معمعة الاستئصال والمواجهة بين كل الأطراف، وإنما هو نوع من التسالم بين قوتين في أرض المسلمين، وإن كانت إحدى القوتين هي الأكثر عدداً أو بطشاً، ولكن تبقى القوة الأخرى في حالة موازنة ومعادلة مع تلك القوة الأولى. لا أن معاوية تفرد بالأمر وبالسيطرة على أوضاع المسلمين.

ولذلك قال الإمام الحسن عليه السلام في خطبة: (... **وأضع الحرب بيني وبينه**)[1].

وهذا يعني أن الهدنة بين جبهتين عسكريتين متقاتلتين، والذي يجري هو إيقاف الحرب فقط، وليس معنى ذلك كما يتخيل الكثير - وللأسف من الخاصة بل ومن الأكابر - ويتصور ويتوهم أن هدنة الإمام الحسن عليه السلام تعني أن الأمر في معسكر الإمام عليه السلام قد تشتت وتبعثر. وهذه نظرة خاطئة بعيدة عن مسار الحقيقة بل تزلزل بنو أمية في نهضة الحسين عليه السلام فإن النصر كان قاب قوسين لولا إخفاق بعض الشرايح وتخاذل النخب، شاهد على أن القاعدة الشعبية والعسكرية والنفوذية لأهل البيت عليهم السلام تم الحفاظ عليها بتنامي في عقد الهدنة الذي قام به الحسن عليه السلام، بل الواقع هو (أضع الحرب).



(1) بحار الأنوار، ج ٤٤: ٦٦؛ ينابيع المودة للقندوزي، ج٢: ٤٢٧.

الشاهد الثالث:

عندما وصل معاوية إلى الكوفة أبى وامتنع قيس بن سعد بن عبادة عن مبايعة معاوية، وبسبب هذا أبى معاوية أن يأمن قيس بن سعد، وكان قيس من أخلص قيادات الإمام الحسن عليه السلام، وكان آخر لواء عسكري يقاتل بين يدي الإمام الحسن عليه السلام هو لواء قيس بن سعد، فقد كان زعيم الأنصار قائد شجاع ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. وقد كان معاوية يهابه وكان يصر على بيعته، فقد روي لما تم الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عبادة يدعوه إلى البيعة فأتى به وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المسرف ورجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الأنصار، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني حلفت أن لا ألقاه - معاوية - إلا بيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح وسيف فوضع بينه وبينه ليبرّ يمينه[1].

فمعاوية رفض أن يأمن قيس وأصرّ أن يقتله، ولكن الإمام الحسن هدد بنقض المعاهدة إن لم يكن قيس آمن. فنزل معاوية على ما طلبه الإمام الحسن عليه السلام.

وكانت هناك مكاتبات ورسائل بين قيس ومعاوية، وكان قيس يهاجم فيها معاوية ومن تلك الكتب:

---

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ٣٧.

فكتب إليه - إلى معاوية - قيس: **أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّاً لله ونبيه والمؤمنين من عباده...**[1].

ومع كل هذا فقد نزل معاوية على ما طلبه الإمام الحسن عليه السلام، وهذا يدل على أن الإمام الحسن عليه السلام كان هو الذي يملي على معاوية وليس العكس. فلو لم يكن للإمام الحسن عليه السلام القدرة والسيطرة لما كان في قدرته أن يضغط على معاوية وكان معاوية يقبل بكل شرط يشرطه الإمام الحسن عليه السلام، وهذه مناورة سياسية وعسكرية وأمنية كان القائد الأول فيها هو الإمام الحسن عليه السلام.

الشاهد الرابع:

عدم بيعة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية مع إصرار الأخير على ذلك، - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - فتراجع معاوية عن إصراره هذا بعد ما قال له الإمام الحسن عليه السلام:

يا معاوية لا تكرهه، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام. وهذه خطوة عسكرية أمنية.

فقد كان هناك انتشار متداخل بين أهل الشام وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، وكان معاوية لا يستطيع أن يضغط عسكرياً وأمنياً على الإمام الحسن عليه السلام إذن أي تفرد بالسلطة كان لمعاوية؟!.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٥٢.

لأن معاوية لو أراد أن يغتال الإمام الحسن عليه السلام فإن معسكر الكوفة وأهل البيت عليهم السلام سوف يقوده الإمام الحسين عليه السلام، فهو البديل لأخيه الإمام الحسن عليه السلام. وهذا النائب لا يبايع ولا يهادن ولا يعقد مع معاوية عقد السلم، وهذا يعني إبقاء ورقة بديلة وساعة صفر وضاغطة على الطرف الآخر. فسيد الشهداء عليه السلام ليس بقعة جغرافية، بل هو شريحة اجتماعية لها قدراتها ولها أحوالها ولها معسكرها.

إذن لا بد لنا أن نحلل الأوضاع بعضها البعض، ولا نأخذ القضية من زاوية واحدة ونتعامى عن الزوايا الأخرى.

الشاهد الخامس:

خُطب الإمام الحسن عليه السلام - والتي مرت سابقاً - فقد كانت تقرأ بقارعة مقذعة ومزلزلة على الخطاب السياسي لمعاوية، حيث كانت خطبه عليه السلام سواء التي كانت في الكوفة أو المدينة تؤكد أن خلافة معاوية غير شرعية، وظالمة، وحق مغتصب وغير ذلك. ولم يكن هناك أي قول في خطبة عليه السلام يشير إلى شرعية معاوية إطلاقاً.

وهذا يدل على أنه ليس هناك أي بيعة أو صلح كما يظنه الظان، بل صلح هدنة لوقف إطلاق النار مؤقتاً كما يصطلح عليه دولياً وليس اعترافاً بالكيان الآخر. وهذا يدل على مدى الرصيد الموجود في معسكر الإمام الحسن عليه السلام وأنه عليه السلام لم يفقده أبداً، وإلا فهذه ليست عبارات عابرة نقرؤها ونمر عليها، وإنما هي تحليل لها خلفيات أمنية وعسكرية وسياسية.

الشاهد السادس:

إن معاوية لما نقض المعاهدة وقال قولته (. . . **ألا وأني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي ولا أفي بشيء منها**)[١].

فإنه لم يذكر ذلك علناً أو بعد الهدنة مباشرة، بل قال ذلك عندما خرج من موقع الحدث حيث نزل في النخيلة التي هي معسكر الكوفة، لأنه كان يخشى من ردة فعل جيش الإمام الحسن عليه السلام.

وقيل إنه نقض الهدنة وهو في مسجد الكوفة، حيث روى أبو الفرج الأموي في مقاتله ما نصه:

ودخل معاوية الكوفة - أي بعد المعاهدة - وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه رجل يقال له حبيب بن حماد[٢] يحمل رايته حتى دخل الكوفة فصار إلى المسجد فدخل من الباب (الذي سمي فيما بعد بباب الفيل) واجتمع الناس فخطبهم معاوية فذكر علياً والحسن ونال منهما! والحسنان

(١) المقاتل: ٦٩.
(٢) ويذكر أن خالد بن عُرفطة كان مخالفاً لبني زهرة وأسلم وصحب النبي صلى الله عليه وآله، وكان علم عهد علي عليه السلام بوادي القرى، وقيل: مات، فدخل رجل جامع الكوفة وعلي عليه السلام على المنبر فقال له: يا أمير المؤمنين، قد مات خالد بن عرفطة بوادي القرى فاستغفر له، فقال عليه السلام: مه إنه لم يمت، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن حماد، وكان حبيب حاضراً وسمع الكلام فقال وقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حماد وأنا لك محب ومن شيعتك فقال عليه السلام: فإنه كما أقول! وإياك أن تحملها ولتحملنها وتدخل بها من هذا الباب. الباب الذي سمي فيما بعد ذلك باب الفيل. (مقاتل الطالبيين: ٤٦؛ الإرشاد: ٣٢٩).

حاضران، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده وأجلسه، ثم قام هو فقال لمعاوية:

أيها الذاكر علياً أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً، وأشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً فقالت طوائف من الناس: آمين! آمين!.

ثم يقول أبو الفرج: وأنا أقول آمين[١].

فعدم ذكر عليٍّ بالسوء - كما في المعاهدة - أول الشرط نقضاً.

وبعضهم يقول - كما في المصادر - أخذ أهل الكوفة يشتمون معاوية، بل البعض همَّ بقتل معاوية.

فلو لم تكن هناك أرتال عسكرية متشابكة مع أرتال أهل الشام كيف يستطيع أهل الكوفة أن يهمّوا بقتل معاوية، حتى كادت الفتنة أن تقع كما تقول بعض المصادر.

وهذا يدل على أن سلاح معسكر الإمام الحسن عليه السلام وشبكته الأمنية والقواعد الجماهيرية الموجودة لديه لا زال الإمام عليه السلام يحتفظ بها، بحيث يستطيع أن يعاود المنازلة الميدانية العسكرية والأمنية مع معاوية.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٦.

الشاهد السابع:

بعد كل هذه الأحداث التي جرت سابقاً وبعد أن كادت الفتنة أن تقع، أيضاً هدد الإمام الحسن عليه السلام بنقض الهدنة، وذلك بعد أن نقض الهدنة معاوية جاء المسيب بن نجية وهو رئيس قبيلة فزارة إلى الإمام عليه السلام وقال له ها هو معاوية قد نقض العهد. - وقد مرت الإشارة إلى ذلك سابقاً -، فلو دققنا في كلام المسيب الفزاري فهو يقول (قد نقض العهد)، فإذن هي ليست بيعة من مبايع لمبايع آخر، أو لأمير أو رئيس أو خليفة، بل هو تعاقد متوازي ومتقابل بين طرفين.

الشاهد الثامن:

إن خطبه عليه السلام كانت صريحة وليس فيها أي موارة أو مداهنة، بل كشفت الحقائق الغائبة على المسلمين، وهذا ما بيناه سابقاً تحت عنوان (حجاج الإمام الحسن عليه السلام).

ولا حاجة لبسطها مرة أخرى.

الشاهد التاسع:

اعتراف معاوية نفسه من قوى الإمام الحسن عليه السلام، حيث قال: والله ما نزل الحسن حتى أظلمت علي الأرض وهممت أن أبطش به، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية[١].

ويقصد بالعافية هنا استتباب الأمن، وإلا يخرج الأمر عن معاوية.

وقد روي أن معاوية قال لعبدالله بن الزبير، وهو عنده بالمدينة في أناس: يا بن الزبير ألا تعذرني في حسن بن علي ما رأيته مذ قدمت المدينة إلا مرة، قال: دع عنك الحسن فأنت والله كما قال الشماخ:

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى صدورهم تغلي عليَّ مراضها

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف لضربك، والله لأهل العراق أرأم له من أم الحوار لحوارها. فقال معاوية: أردت أن تغريني به، والله لأصلن رحمه ولأقبلن عليه[٢]. وهذا النص يعطينا صورة أن الهدنة أشبه ما تكون بالفيدرالية منه بالمعنى الخاطىء للبيعة للخليفة الواحد.

---

(١) الأمالي للطوسي: ٨٢٤.
(٢) الأغاني ج ٨: ١٠٤.

الشاهد العاشر:

مدح الإمام الحسن عليه السلام لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وبمحضر ومسمع من معاوية الذي كان لا يستطيع أن يسمع باسم (علي)، وقد كان قد سنَّ لعن وسب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر لثمانين سنة، فكيف به وهو يسمع مدح علي عليه السلام بحضوره وحضور جلاوزته ومن على منبر الكوفة أو المدينة وبحضور آلاف المسلمين. ألم تكن هذه ورقة ضغط استخدمها الإمام الحسن عليه السلام تجاه معاوية.

الشاهد الحادي عشر:

لما خرجت الخوارج على معاوية استنجد معاوية بالإمام الحسن عليه السلام كي يقاتل معه، وهذا يعني أن القدرة العسكرية للإمام الحسن عليه السلام لا زالت موجودة.

فقد روي:

وخرج من الخوارج على معاوية بعد قتل علي عليه السلام، حوثرة الاسدي، وحابس الطائي، خرجا في جمعهما، فصارا إلى مواضع أصحاب النخيلة، ومعاوية يؤمئذ بالكوفة قد دخلها في عام الجماعة. [وفي كامل التأريخ (بعد أن بايعه الحسن)]، وقد نزل الحسن بن علي، وخرج يريد المدينة، فوجه إليه معاوية - وقد تجاوز في طريقه - يسأله أن يكون المتولي لمحاربة الخوارج، فكان جواب الحسن:

والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذاك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت أولى بالقتال منهم؟[١].

الشاهد الثاني عشر:

جاء معاوية إلى المدينة المنورة وخطب في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يعتبر مركز الخلافة الإسلامية، فقال معاوية للحسن بن علي عليه السلام: أنا خير منك يا حسن، قال: وكيف ذلك يابن هند؟ قال: لأن الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك. قال: هيهات هيهات لشر ما علوت، يابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان: بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاصٍ لله، والمكره معذور بكتاب الله وحاش الله أن أقول: أنا خير منك فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل[٢].

وهذه الحادثة كما بينا أنها حدثت في المدينة المنورة، وهذا يعني أن القدرة العسكرية لسيد شباب أهل الجنة، لا زالت موجودة إلى أواخر حياته.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ٩٨؛ الكامل للمبرد ج ٣: ١٣٣.
(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج ٣: ١٨٦؛ بحار الأنوار ج ٤٤: ١٠٤.

الشاهد الثالث عشر:

وهو أن معاوية لم يجرؤ على أي أحد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أن يفتك به في ظل حياة الإمام الحسن عليه السلام، فمثلاً قتله لحجر بن عدي سنة إحدى وخمسين ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي. فإن هؤلاء وغيرهم قد اغتالهم معاوية بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام.

الشاهد الرابع عشر:

قال ابن أبي الحديد: قال أبو الحسن المدائني: طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن ممن كان في كتاب الأمان، فكتب إليه الحسن: من الحسن بن علي إلى زياد أمّا بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له فأحب أن لا تتعرض له إلا بخير والسلام.

فلما أتاه الكتاب وذلك بعد أن ادعاه معاوية، غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان فكتب إليه:

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن أما بعد فإنه أتاني كتابك في فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وايم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك وإن أحب الناس إلي لحماً أنا آكله للحم وأنت منه، والسلام.

فلما قرأ الحسن الكتاب بعث به إلى معاوية، فلما قرأه غضب وكتب:

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد أما بعد فإن لك رأيين: رأي من أبي سفيان ورأي من سمية فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم، وأمّا رأيك من سمية فما يكون من مثلها؟ إن الحسن بن علي كتب إلي أنك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له فإني لم أجعل لك عليه سبيلاً[1].

وهذا يدل على أن قوة الضغط والموازنة لم تزل باقية.

الشاهد الخامس عشر:

لما بايع الحسن عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي:

(. . . فإذا شئت فأعد الحرب خدعة، وائذن لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه، وتنبذ إليه على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان.

فقال الحسن عليه السلام: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا فلو كنت بالحزم على أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا)[2].

ومن خلال هذه الرواية يتضح أن القاعدة الشعبية والعسكرية والأمنية

---

(١) البحار ج٤٤: ٩٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ١٨.
(٢) بحار الأنوار ج ٤٤: ٢٩.

للإمام الحسن عليه السلام كانت تستطيع أن تعيد العراق بين ليلة وضحاها، وهذا يعني أن العراق لم يخرج عن قبضة الإمام الحسن عليه السلام.

هذه شواهد كلها مفعمة على أن الإمام الحسن عليه السلام لم يفقد أي ورقة ضغط على معاوية، بل بقي هو القائد الشجاع لشيعة أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. بل في الحقيقة كان فتحاً مبيناً لبقاء التشيع والشيعة ككيان رئيسي في جسم الأمة الإسلامية يتنامى بهوية إيمانية متميزة عن الإبهام في الخليط الإسلامي، وهذه خطوة بناء فاتحة للأمة المؤمنة في مسار الأمة نظير صلح الحديبية لجدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله الذي سبب يأس الكفار إلى الأبد عن استئصال المسلمين وكذلك كان صلح هدنة الحسن عليه السلام سبب يأس أعداء أهل البيت عليهم السلام من بني أمية ومن شاكلهم من النواصب إلى الأبد عن استئصال كيان المؤمنين والإيمان فكان بحق فتحاً مبيناً للإيمان بينما صلح الحديبية كان فتحاً مبيناً للإسلام.

فسلام على الحسن يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

والحمد لله رب العالمين





الفهرس

الموضوع | الصفحة